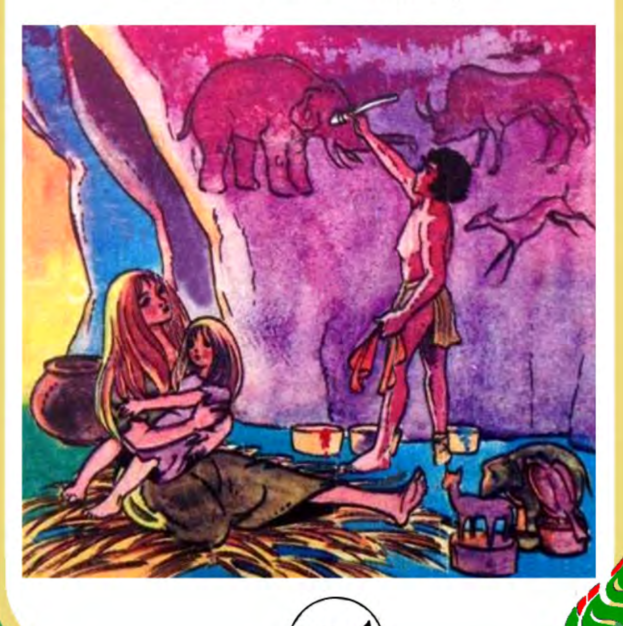
روايات
عالمية
للفتيان

وقت الاحلام

هنري نريس

ترجمة: سهاد احمد



فريق التوثيق
الألكتروني



وقت الاحلام

هنري تريس

ترجمة: سهاد احمد

فريق التوثيق الألكتروني
محمد رضا مهدي
أسعد علوان حسين

وقت الاحلام
تأليف هنري تريس
ترجمة : سهاد احمد
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٩

الناشر وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد بريد ٨ شباط ص . ب ٨٠٤١

روايات
عالمية
للفتيان

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف

وقت الاحلام



اضطجع (كروكليج)* في زاوية مظلمة من البيت الكبير، متمنياً أن لايتشاجروا من أجل شجرة خشب الزان عند جمع الجوز، وان يمتلك (هوي) (الرجل المسن لشعب الدوك) خبرة بأعمال السحر لمداواة السيقان المكسورة. كان يخشىٰ ان لاتساعده رجله اليمنىٰ علىٰ الجري مع فتيان القبيلة مرة ثانية. فلقد

---

* تعني كلمة كروكليج : الكسيح

كانت جبائر الصفصاف (والتي يوضع في كل طيّة منها دهن ثم تلف بعدها) مؤذية، لاسيما عندما دحرجته المرأة بلا مبالاة بقدمها وبسرعة الى النهاية المنخفضة للغرفة.

كانت والدته (بلوستون) تضطجع على كومة من الخنشار البني في نهاية منعزلة من الغرفة المظلمة وهي تبكي، وفي بعض الاحيان كانت تنوح. وبقيت هكذا مدة ثلاثة أيام. أراد (كروكليج) أن يزحف اليها، لكن المرأة القسيسة ذات الرداء الاسود والوجه المغطى بالرماد، أشارت اليه بعصاها التي تشبه الافعى وخاطبته بخشونة ليبقى حيث هو.

كانت تلقب (اش)*، وهي امرأة يخشاها كل الرجال - حتى والد (كروكليج) (ثورن) * - الذي لم يخش شيئاً، إذ لم يكن يخيفه الظلام أو الذئاب أو حتى الكلاب الوحشية.

تعني كلمة اش: الرماد

كلمة ثورن: الشوكة

وكان (هوي) (الزعيم) هو الوحيد الذي لايخشاها، لانها احدى نسائه، لكن على الرغم من هذا فان اشارة منها كانت تصلّب اصابعه وتبعد عينيه السوداوين بعيداً.

لقد أرسلت (آش) كل الرجال والفتيان بعيداً عن البيت الكبير، عندما بدأت بلوستون * بالبكاء. كانت ترغب بارسال (كروكليج) ايضاً، لولا توسلات بعض النساء بسبب عجزه عن السير اذ أنه لو ذهب فسيجعله هذا فريسة سهلة للذئاب. فقالت اش: «يستطيع أن يحمي نفسه ولكنه سيموت أيضاً بسبب الطقس البارد جداً في هذا الوقت من السنة». وكنتيجة لهذه الاسباب سمحت له بالبقاء في حين كانت تجري أعمال السحر على والدته، لكنها أدارت وجهه الى الحائط الطيني حتى لايتمكن من مشاهدة أعمال السحر.

ركع (كروكليج) لها فخاطبته بمرارة قائلة: في هذا الوقت يكون الرجال قد ذهبوا بعيداً، ولايوجد أي رجل

---

* تعني كلمة بلوستون : الحجر الازرق

هنـا . سواك وهـذا لسـوء حظـك وحظ والدك ووالدتك . وسترىٰ، اذا كان حظك سيئاً لدرجة يمنع نمو محاصيل الشعير فسنعلم حينها من هو الملام . وعندها يبغضك الرجل المسن ويقدمك (لبون) * وستعلم حينذاك عن ماذا تصرخ؟ وستكون على يقين ان ألم ساقك هو لاشيء .

ارتجف (كروكليج) في تلك اللحظة . كان (بون) هو اله المطر الذي يقطن في كهف عميق وصغير في الغابة، حيث تأخذ النساء الطعام له وتلقي به على الباب فيمد سكينه المصنوعة من حجر الصوان أو من قرون الايل الصغير الذي كان غالباً مايصطاده . وفي العام المنصرم . طرح جلد دب بني اللون والذي غرزه في حفرة بوتد حاد من اسفله . لقد جاء بون الى القرية عبر السياج ذي القوائم المدببة من خشب البلوط وفي موسم الشعير ليباركه قبل بذر الحنطة في الارض . وفي وقت متأخر من السنة عندما تحترق جذائم الحنطة وترقص لتقدم شكرها

* تعني كلمة بون: العظم

للحصاد . وعندما يأتي تلحق به ثلاث فتيات حاملات عظم ثور (منزوع اللحم) ليعزفن به موسيقىٰ مزعجة من أجل هذا الرجل .

كان (بون) رجلاً مسناً ومنحني الظهر ولايتمكن أحد من رؤية وجهه خلف قناعه الجلدي الذي طالما سحر الاطباء به . لقد اتخذ هذا القناع بقرونه البيض (في اعلاه) شكل وجه، وغرزت عيناه في جوفها بسبب هذا القناع وفغر فاه ليوضح أسنانه الصوانية . وامتد شعره الثلجي المشحم بدهن الماشية وراء القناع . وعند مخالفة أي شخص لقوانين شعب (الدوك) (الكلب) يربط ويلقىٰ به لبون وعندها ينال عقابه وتكون نهايته محتمة . ويلقى بعظامهم تحت شجرة الدردار المعمرة . وتحتضن الارض أشجارها التي تتمخض من هذه العظام . وسنوياً تسقط أوراقها لتطمر هذه العظام . لكنها على الرغم من كل هذا تبقىٰ على الأرض . ونتحسسها بمجرد أن نلامسها بأقدامنا .

تخشى الذئاب «بون» وتولي أدبارها عندما يلتفت اليها بقناعه ذي القرون وعصاه الرنانه . ومن غير بون لن

ينمو الشعير في هذه الارض، ومن غير (آش) لن تتأجج النار من الحجر المضروب، ومن غير هوي لن يكون هناك انتصار على القبائل الاخرى القاطنة في الجانب الاخر من الغابة وهي شعوب (الايكل) (النسر) وشعب «الفوكس» (الثعلب). كان (تورن) والد كروكليج) هو زعيم الحروب ورامي الرمح على الوشق المخطط بمسافة ٢٠ خطوة فقط.

ولكن هذا كله لن يكون مالم يباركه (هوي) على جبهته ويده اليمنى قبل ذهابه الى الحرب. ومن غير هذه المباركة لن يحالفه الحظ وسيعاوده القلق في كيفية الدفاع عن القبيلة

تمنى (كروكليج) ان لايحدث هذا كله. وأن يملأ الفرح العالم في كل وقت ولاتغيب الشمس أبداً. وان يسافروا من غير رماح وأقواس من أجل نزاع القبائل الاخرى. وطالما تمنى أن يجلس كل أفراد القبيلة حول نار ويتحدثوا عما أغضبهم من بعضهم بعضاً وعندها لن يكونوا محتاجين الى الرماح ورمي السهام لصنع الجراح. ولكن كل هذا لن يحدث لأنه لايتجرأ ان يخبر

(هوي) أو حتى والده بكل هذا.

وفجأة زاد صراخ والدته. وتمنى أن يحبو اليها. كانت النساء لحظتها يجلسن حولها ويحملقن فيها، وهنّ يؤدّين احدى الاغاني الحزينة والتي كانت مفهومة لنساء شعب (الدوك) فقط، ولغة هذه الاغنية خاصة بالنساء لذلك لايفهمها رجال القبيلة، وهكذا كان (كروكليج) جاهلاً معنى هذه الاغنية. وهذ شيء آخر يضاف الى ماسبق، والذي اقترحه على والده ولكن هذا الاقتراح جعل والده يحملق فيه بحدة حتى جعله يشعر بأنه قال شيئاً سيئاً، وجلس (هولي) بجانبه بعد هذا وقال: «هل أنت في حلم يافتى؟».

واومأ (كروكليج) الى قدمه، فقال (هولي) له: اذا ماقلت شيئاً سيئاً مرة ثانية، ستلاحقك (آش) في احلامك، وستريك اشياء مخيفة فيها، وستخبر ملك الذئاب عنك وعندها سيكون بانتظارك في الغابة. هل تريد ان يحصل هذا؟

هز (كروكليج) رأسه، ثم عزله (هولي)، وبقي مدة اسبوع ممنوعاً من مخاطبة أي شخص. وهكذا بقي مع

والدته في البيت الكبير وهو يبكي ، وتمنى لو أن ذئباً كبيراً يقفز من السياج في الليالي الحالكة الظلام ليأكل (آش) وعندها لن يبقى غير ردائها الاسود .

وفجأة جلست اليه قائلة : «أنت ليس كبقية الفتيان ، لاتتمكن من رمي الرمح . ولم تقتل قطة متوحشة أبداً ، أو حتى تضرم النار من حجر الصوان . إذن مافائدتك في القبيلة؟»

كرهها (كروكليج) لانه اعتقد انها سترافقه في احلامه اذا فعل أي شيء كما هدده الرجل المسن .

ثم قالت : «سترحل والدتك عن القبيلة ، ومعها الشيء الصغير الذي اسميناه (بود) ولكنه سيرحل قبلها ، واذا اردت ستكون مثلهم ، ويمكننا أن نفعل هذا ، من غير استشارتك ، فأنت غير نافع لشعبنا» .

ثم نهضت وغيرت اغنية النساء الى اغنية اخرى . فغضب منها وتمنى ان يؤذيها . . ثم اقتنى غصناً طرياً من على الارض الملساء وعلى فراشه المصنوع من الخنشار ، رسم ذئباً كبيراً ذا فك مفتوح ثم ذئباً آخر وهو يقفز . كان يعرف (كروكليج) ماذا يبغي هذا الذئب أن

يأكل لكنه لم يتجرأ الافصاح به حتى لنفسه .

وفي غضون هذا الوقت مرت به احدى النساء حاملة بيدها شمعة منارة ثم وقفت بالقرب منه وفجأة صرخت وركضت الى (آش) وهي تصرخ : انه يحاول ان يؤذي للقبيلة يريد أن يقتل القبيلة ، انظري ماذا استطاع القول بوساطة هذا الغصن !»

واقبلت (آش) عليه ونظرت الى الذئب القافز ، وفجأة مسحته بقدمها وبشدّة ، ثم قالت : «لماذا تكرهنا؟ لماذا تفكيرك سيء بنا؟ انت منبوذ في القبيلة . هناك شيء سيء فيك . ويجب أن يعلم به الرجل الكبير يجب أن أذهب واخبره . »

وأعقبها النساء ثم حملنه وألقين به خارج البيت الكبير في الاجمة ولم ينظر اليه أحد لان عينيه ستصيبانهم بالمرض .

وجاء والده اليه في وقت معتم ، كان يخشى أن يكلمه ، وفي النهاية قال له : (هوي) غضبان عليك جداً ، انها حياة ثلاثة رجال نظراً لان واحداً منهم رسم أحد الحيوانات على الارض . وحياة عشرة رجال نظراً

لاننا رسمنا حيواناً على الجدران الصخرية وتعلمنا أن لانفعل هذا مرة ثانية حتى (بون) لايتجرأ على فعله. نحن لانحب الا شياء المظلمة في الغابة. لأنه من الصعب أن نحدد أشكالها.»

فاجاب (كروكليج) قائلاً: انه خيالي، وهذا ليس بيدي، لكني لم أعنِ شيئاً سيئاً، ليكون مصيري مصير (بلوستون)؟

وقف (ثورن) بعيداً عنه مفكراً، ثم قال: «كانت (بلوستون) تثير خيال النساء لذلك توجب أن يحل محلها شخص آخر في القبيلة، وستتوقف عن البكاء فجأة وعندها لن تقوى على الحراك. فالذي يمتلك أرواحنا لن يجعلها تتحرك بأي حال. كان يدعى (بود)، لقد ذهب كلاهما بعيداً، وسيدفنان تحت التل العالي في فراشٍ داخل مخبأ تغطيه الاحجار الثقيلة، واذا تمنيا الرجوع، سيحصل ذلك وإلا فلن يكون هناك الكثير ليقال، أما أنت فسيكون حالك أسوأ مادمت تطلق العنان لخيالك الذي سيوقف نموّ الشعير وجري الغزلان في ربوعنا. وسيشح الطعام في القبيلة إذا أصررت على

حفظ هذه الأشياء السيئة».

بكى (كروكليج) حينها. وفكر بأنهم قد ارسلوا والدته و(بود) بعيداً بسبب الذئب الذي رسمه على الارض. لكن (تورن) حركه بعصا رمحه ليهدأ، ثم قال: «لم يرغب (هوي) أن يخبر (بوت) عنك. وتمنى (بوت) أن يضع عظامك تحت الشجرة، لكن (هوي) يرغب في مشاركة جميع الشباب في القتال القادم».

فاجاب (كروكليج) قائلاً: «لماذا يكون هناك قتال».

قال والده: «اذا لم ينمو القمح هذه السنة. يجب أن نذهب الى شعب (الفوكس) نسلب اغنامهم. لذلك يجب أن نقاتل. هذه هي العادة».

فقال (كروكليج): قيل بعيداً عن التل العالي، ولمسافة اربعة أيام سيراً. هنالك شعب يأخذون طعامهم من البحر. نستطيع ان نذهب اليهم ونعطيهم سهاماً من حجر الصوان من أجل ان يصطادوا به طعامهم».

غضب (تورن) جداً من كلام (كروكليج)، وضربه بعصا رمحه، ثم قال: «ماذا تقول؟ هذا طعام غير نظيف، ستنمو عندها القشور في أرضنا اذا اكلناه،

وهؤلاء قوم سيئـون يقطنـون قرب البحـر. ثم رائحتهم ليست كرائحتنا، هل تريد أن تنقرض قبيلتنا؟ هل تحاول قتلنا بطُرقك الدنيئة؟»

هز (كروكليج) رأسه ولم ينطق بكلمة ثم أعطاه والده قطعة لحم مجففة وقدحاً فخارياً فيه ماء ثم تركه وغادر.

وقد مضى اسبوع ولم يكلمه أحد في غضونه أو ينظر اليـه. وتمنىٰ أن يكـون تحت التـل العـالي مع والـدته و (بـود) تحت الغطـاء المخفي نياماً. فهو يشعر بالبرد لانه ملقىً خارجـاً في الأجمـة وهـو يسمـع عواء الذئاب وراء السياج ذي القوائم المدببة كل ليلة وهي تحاول تخديش السياج بمخالبها الطويلة.

ثم تحسنت ساقه، واستطاع مواصلة السير ولكنه كان يتكيء على عصـا عند الركض. وهكذا ذهب الى رجال البيت الكبيـر ووقف عنـد مدخـل البـاب حتى أومأ له بالقـدوم. كانـوا يجلسـون ويتحـدثون في مواضيع شتىٰ وكـانـوا بيـن حين وحين يظهـرون عضـلات أذرعهم الكبيـرة. وايقن (كروكليج) ماهي الخشونة وكيف تبدو، كمـا يبـدون بشعورهم السود المشدودة حول عظام المخ

وعنـد نهـايـة وجـوههم وأجسـامهم المغطاة بوشم أزرق والتي وخزها (بوت) فيهم بابرة حادة صغيرة.

ولبس أحـدهم سواراً مصنـوعـاً من نخاع عظم قرون الثـور وهذا ماجعله يبدو مهماً جداً. كان اسمه (مخلب) (فـانك) وهو قائد حروب (الفولك) عندما ذهب (ثورت) تحت التل العالي اخيراً.

وعنـدمـا رأى (فـانـك) (كروكليج) استهزأ به ثم قال «مـاذا يصـور لك خيـالـك اليوم، ايها البطل؟ هل أتيت بدب ليأكلنا في هذا الوقت؟»

ثم التقـط أحـد الـرجـال حجـراً وقـذف به باتجـاه (كـروكليـج). لكنـه لم يصبـه. ثم قال: «انظـر، انا لم اخطيء ماأقذفه أبداً، لكن خيالك هو الذي حول الحجر السريع بعيداً، هنالك شيء سيء فيه».

وبـدأوا يهـزأون منه ويشيرون اليه. لكنه على الرغم من هذا كان يشعـر بالسعـادة لانـه اعتقـد انهم يمـزحون معـه. صاح (فـانـك): «تعـال قرب النار (ياكروكليج)، لدينا شيء جيد نخبرك به».

ذهب وهــو يحني رأسـه أمـام والـده لانـه كان زعيم

الحـرب. فأمسـك به (تـورت) من ذراعـه وقـربه اكثر ثم قال: «انظـر، سأعطيك هذا الحجر الازرق الذي كانت والـدتـك تلبسه حول رقبتها. فالبسه حول رقبتك وعندها ستعـرف كل الـقبيلة من تكـون أنت. كنت أرغب أن أعطيـه الى المـرأة التي سآسـرهـا من شعب (الفـوكس) لكنني حلمت بوالـدتـك وهي تخبـرني أن اعطيك اياه. لذلك ضعه حول رقبتك، انه لك».

وفعل (كروكليج) كما قال له. وبدا الحجر دافئا على صدره العـاري مثلمـا كانت يد والـدتـه الـدافئـة عنـدما تلامس جسده. وهذا ماجعله يرتجف ثم بكى لفقدانها.

ثم قال والـده: «أنت فتىً محظـو ظ (يـاكروكليج). نخطـط اليـوم للقتـال ضد شعب (الفـوكس) وسنـرجـع بالإغنـام لشعبنـا وسأقتني امـرأة اخـرىٰ من اجـل بيتي. لذلـك انت محظـوظ فستكون معنا هنا بالقرب من النار. لكن على الـرغم من عجـزك عن الجـري الا ان الرجال يعتقـدون انـك تستطيـع أن تمسـك بعصـا السهـام وأن تمكث في المؤخرة. حان الوقت لترىٰ القتال وتتعلم ماذا يجب أن يفعل الرجال».

وبدا على وجه (كروكليج) العبوس لأنه لم يتجرأ ان يخبـر والـده أمـام الـرجال انه لايحب الحرب. ثم عقّب (فـانـك) قائـلاً: «ارينـا (يـاكـروكليـج) اصبعـك الذي استعملته لرسم الذئبين على الارض». قال هذه الجملة بخبث حتى انه كان يبدو كالذئب.

فاجاب (كروكليج)، «لم استعمل أصابعي بل عصا».

قال والــده: «لكنـك استعنت بيـدك لتمسـك بالعصـا. لذلك ارنا أي الاصابع كان المرشد للعصا عند رسم الذئبين».

فـأكـد (كروكليج) على سبابة يده اليمنىٰ ثم أضاف قائلاً: «هذا أحد ادلة العصا».

قال (فانك): «أنت تعرف عندما يصبح فتياننا رجال حرب (مقاتلين) يجب أن يقدموا منحة».

واعتقـد (كـروكليـج) انـه يريد منه أن يرسم ذئباً آخر فنكس رأسـه الاسود فضحك (فانك) منه وقال: «إي، أنت تعرف مافيه الكفاية، فهل توافق».

فنكس (كـروكليـج) رأسه مرة ثانية ثم تفحّص البيت ليرىٰ أين يرسم الـذئب فهو يحتـاج الى أرض مسطحة

ومساحة كبيرة . لا يمكن لأي أحد أن يمحو الصورة .

ثم قال له (فــانــك) : «اذا وافقت فاننـا سنشـركـك بالقتـال لتعرف طعم الحرب ولتختبر نفسك ان كنت شجاعـاً وعنـدمـا ترجع سنجعلك أحد رجال القبيلة . وسنأخذ أصبعك الذي كان مرشد العصا لانك ستقدمه لنا . بعد أن تغمس يدك في القرية ثم تحتل مكانها على الجدار الصخري لذلك ستأخذ شكلها هناك وستعرف القبيلة ماذا قدمت» .

فأخفى (كـروكليـج) يده اليمنى وشعر بأهميتها لانها تحتضن سبـابـة ومن دونهـا لن يتمكن من رسم الصـور أبداً . إنه لايريد أن يخسرها من أجل القتال .

وعلى الـرغم من هذا بدا والـده فخـوراً بحزمة ريش الصقـر المعقـودة على شعـره ووشمـه الازرق عبر عظام خده . ولم يتجرأ (كروكليج) أن يتراجع الى الوراء بزحف او حتى يهرب من البيت الكبير. على الرغم من ان بقاءه ليس في صالحه .

حدّق (فانك) به برهة ثم قال : «نعم ، ستكون رجلاً عمـا قريب . لقد اعتقدنا إنك ستصرخ او تحاول الهرب

وعنـدهـا قد أرمي سهمي اليـك ، لكنـك بطـل اكثر مما اعتقدنا . والآن استلقي في الزاوية على الكنزة ثم . . . .

ينبغي أن نذهب عبـر الغـابـات قبـل ان يتنبأ شعب (الفوكس) . وهذا يسهل القتال» .

ولم يستغـرق (كـروكليـج) في نوم عميق وبقي يفكر كيف سيبـدو من غيـر اصبعـه . لقـد اعتاد على ان يملك هذا الاصبـع ، وشعـر بمـدى حبـه له . فهو لايريدهم ان يقطعـوه بالفـأس الحجري . وفكر بالهرب الى مكان ما ، ربمـا الى شعب (القش) . ولكن هنـالـك حارس على البـاب . يجب أن يتغلب أيضـاً على السيـاج العالي ذي الاشواك السميكة التي وضعت عبر فراغات البوابة وحتى اذا مر عَبْرَ الاشواك فهنالك المستنقع والبحيرات المزبدة المهـولة باحيائها ذات العيون الصيوانية وحراشفها السود التي تغطي أجسـامهـا . والـرجـال الـذين سافـروا عبـر المستنقعات ليلاً وعثر عليهم ميتين .

لذلــك لايستطيـع الهـرب لكنـه بقي مستلقيـاً على الكنـزة الصـوفيـة وهـو بانتظـار الفجـر . حتى أيقظ (فانك) الرجال لينطلقوا الى القتال .

وفي غضون ثوان حضر الجميع . كان يعيش شعب (الفوكس) في الجوار. ولم يكن لديهم الوقت للقفز من فوق السور ووخز سهامهم في الاسيجة المصنوعة من الاغصان التي تحمي النيام في الداخل .

وبقي (كروكليج) في جانب بعيد عن السياج وهو يمسك بعصا حادة. لانهم لم يعطوه سهاماً صوانية حتى الرجوع الى البيت الكبير ويقدم منحته بحضور (هوي) و (بون) و (اش) .

ثم سمع بعض الضوضاء، كانت النساء يصرخن، ثم بدأ شعب (الدوك) بالنباح في حين كان شعب الفوكس يعوي . وقفز رجل ضخم (يرتدي جلد دب اسود وعظم يخترق انفه) السياج . واستطاع (دروكليج) أن يتعرف على شخصية الرجل من رموز الوشم انه (الفوكس)[1]لذلك دفع عصا سهامه اليه ولكن الرجل مر عليه سريعاً ورمى العصى جانباً وهرب داخل الغابة وهو يلهث من التعب .

---

(١) الفوكس: الثعلب

وبعد برهة احترق بعض القش، فارسل دخاناً اسود حاولت النساء أن يهربن عبر السياج . ورأى (كروكليج) أناملهن وهي تمسك بوتد بشدة . كانت اناملهن اصغر من انامل الرجال . لم يرم سهامه باتجاههن . لانه تخيل والدته وفكر بها ولهذا لم يود أن يؤذي النساء . ولكن لم تستطع أية واحدة من النساء الهرب . وبدأت اناملهن بالاختفاء مع أوتاد البلوط حتى تلاشت عن الانظار تماماً .

وشعر (كروكليج) بالحزن ولم يخالجه شعور بانه رجل حرب قط . وفجأة قفز (فانك) الى السور وصاح : «اهرب (ياكروكليج) ! اهرب! لقد اصيب (ثورن) بثلاثة سهام وهكذا وقع طريحاً على الارض . ورحل بعيداً عن القبيلة . ولن يلحق بي أحد من الرجال الان . سيرجعون اركض ورائي ، سأقودك» .

ركض (كروكليج) خلفه وبعد برهة أحس بالتعب، وبدأ يشعر بالالم في ساقه مرة ثانية فاضطر الى أن يرتاح تحت أجمة شجرة الوزال وحاول أن يسترد أنفاسه . في غضون هذا سبقه العديد من رجال الدوك وهم يعوون

ولكنهم لم يشموا رائحته واستلقى حتى مر آخر واحد منهم وتأكد من ذهابهم . وفجأة راودت خياله فكرة : «لقد رحلت (بلوستون) بعيداً، ورحل (ثورن) أيضاً بعدها . فاذا رجعت فانهم سيغتصبون اصبعي ويجعلوني رجل حرب . لكن قبيلة (القش) قد لايفعلون هذا، لانهم لايتحاربون بالسهام . وربما لايزرعون الشعير ويشنقون الرجال عند شجرة الدردار» . انتظر مدة طويلة حتى ارتفعت الشمس فوق رأسه وحتى أصبح الذباب يطنُّ بأجنحته حوله وحتى اصبحت الافاعي تنزلق عبرهُ الى المرج

ولم يأتِ أحد من قبيلة (الفوكس) . فهويستطيع أن يشم رائحة القرية وهي تحترق عندما تهب الرياح وهو لايستطيع أن يسمع أي شخص يصرخ أو يضحك .

واخيراً استطاع ان يقف على الساق المكسورة على نحو جيد مرة ثانية . لقد نسي عصا سهامه وتابع سيره عَبْرَ الغابة وهو يشمّ رائحة الذئاب . ويحاول ان يتذكر أين يقطن شعب (القش) وحسب اعتقاده انهم كانوا يقطنون في خط مستقيم عن قريته يبدو عند الفجر في ايام الربيع



حين تشرق الشمس بين عينيك وفي وسط جبهتك . ولكنه لايعرف أين يعيشون تماماً، ولايعرف كم سيمضي من الوقت؟ أيام ام سنين .

وعندما كانت الشمس في اوج حمارها، وصل الى مكان اخضر جميل حيث كان هناك عشب اخضر طويل وحوض فيه اسماك خضر مزر قة صغيرة . ثم مدّ يده نحوها ولكنها لم تتحرك . ثم ظهر أرنب من بين نبات قفاز

الثعلب وجلس بالقرب منه ليتمعّن به اكثر. وقال مخاطباً الارنب: «هـل تتنـاول غذاءك هنـا، ياأخي؟ هل يوجـد طعام جيد هنا؟

ولم يجب الارنب عن سؤالـه واستمـر بتحـريك انفه وادار رأسـه من جهـة الى اخـرىٰ ليـراه بصـورة افضـل. فضحك (كروكليج) عليه وقال «أعتقد بانك احمق مثلي تماماً ولن يجعلوك ذئباً أبداً ياأخي. فهل تستطيع الرسم باصبعك على الارض، ثم؟

وتضـاءل اهتمـام الارنب (بكـروكليـج) واستـدار تدريجياً ماشياً بتثاقل وهو يهز ذيله الابيض.

وشـرب (كروكليج) من الماء الصافي واستساغه اكثر من الماء الذي يحصلون عليه من الجدول الذي يجري عبر قريته. حيث لاتترك الخراف فضلاتها فيه ولم يغسل أي ثعلب يده أورجله فيه. كان يعتقد بان الرجل يستطيع شرب مثـل هذا المـاء العـذب بمتعـة في حين في وطنه يشرب الماء عندما يكون ضمآناً فقط.

وحـط بوم بني ووقف على غصنٍ على مسـافة قصيرة منـه وهـو يحدّق اليه بعينين حمراوين. فقال (كروكليج)

له: «هـل هذا الحـوض ملكـك أيهـا العجـوز؟ اعذرني لاني شربت المـاء من بحيـرتـك، سأرسمـك كتعويض عما فعلته وسوف يعلم الجميع عندئذ بأنه حوضك».

على بعض من نبـات الـزعرور البري الشائك وعلى قطعـة من الطين الـرطب المسطـح التي يمكن الـرسم عليها على نحو جيد، رسم البوم.

لقـد اعجبـه البـوم كثيراً الى الحد الذي جعله يرغب ان يبقىٰ دائماً قريباً منه ولكنه على الرغم من هذا لم ينظر اليـه ابـداً. ثم طار لارتفـاع واطيء ناظـراً نحو الاعشاب مرفرفاً بخفة.

فاعتقـد (كـروكليـج) بأن رسمـه لم يكن جميلاً مما جعل البوم لاينظر اليه ابداً.

ولكنه مع هذا مازال يعتقد بأن رسومه جميلة بما فيـه الكفـايـة. لقد كان حزيناً بسبب السهام الثلاثة التي أصـابت (ثـورن) ولكن هذا يحدث دائماً لزعيم الحرب وهذه الحادثة ليست حادثة غريبة. ولكن حزنه كان اعمق على والدته لانها كانت اكثر عطفاً وحناناً ولم تضربه قط. كان حزينـاً ايضـاً بسبب (بود) لانه دائماً يرغب بمداعبته

كرجل صغير، ويسخر منه عندما يصغي الى كلماته المضحكة التي يقولها قبل أن يبدأ بقول الكلمات التي يتداولها رجال الحرب. كان يرغب بسماع الكلمات المضحكة اكثر من غيرها.

ثم تساءل في قرارة نفسه لماذا لم يكن (بود) امرأة صغيرة وليس رجلاً صغيراً، لكانت الان تتكلم لغات عديدة ولايستطيع أحد أن يفهمها. وهذا شيء غير جيد فليس من الصحيح ان تتكلم ولايفهمها أحد، كان يتمنى ان يستطيع جميع الناس رجالاً ونساءاً وحتى الحيوانات (الارانب، والبوم والكلاب) ان يتفقوا على أن يتكلموا لغة واحدة. لكنا نتكلم عن جميع الاشياء بسهولة ونفهمها بسهولة لن يحارب احد بعد ذلك

وتمنى ان تكون عصاة سهامه معه ولو لحظة ولكن على الرغم من هذا فهو سعيد لانه تركها خلفه. كانت هناك فتاة خلفه (وليس رجل حرب) كانت تشبه والدته تماماً. لها شعر أسود مُحمر طويل ويحيط خصرها خطوط صفر. كان لديها سواران وحول رقبتها قلادة من جلد مدبوغ عليها قطعة من حجر أسود تشبه الدمعة التي

على الخد. كانت ذات عينين بنيتين وفي أسفل اذنيها كان هناك حجران صغيران جميلان أحمران، وعلى خديها الاحمرين كان هناك وشم على شكل زهرة تبدو كأن لها اوراقاً ومركزاً دائرياً. وعلى جسدها كان لها شكل دائري جميل كشكل امواج الماء عند رمي حجرٍ فيه.

ثم قال بلهجة مضطربة: «ارفعي ثوبك الى ركبتك لارى ساقيك».

كانت لبقة وبينت له كيف زينوها باغصان الاشجار والاغصان والاوراق وحتى بازهار التفاح.

ثم قالت له بصوت خشن والبسمة ترتسم على شفتيها: «هل يعجبك ذلك؟» فأشار برأسه وقال: «انها أوراق التفاح: وان اي شخص يفعل ذلك يعرف عن ماذا يبحث لانه يملك عينين في رأسه».

فقالت: «لقد فعلها أبي (كان يدعى الدير)*، قبل ان يذهب هذا الصباح».

* تعني كلمة الدير الحاكم.

فقال (كروكليج): «هل هو (الفوكس) مان»؟

فأومأت برأسها وقالت: «لم يبق هناك اي شخص من افراد عائلتي الان، لذلك ساذهب الى قبيلة (القش)، لانهم لايغيرون على القرى ويمضون أوقاتهم باصطياد الحيوانات من البحر، وربما لايمارسون السحر. فانا لاأحب السحر. فلقد فقد والدي اصبعه بسببه، ولهذا اصبح تعيساً دائماً، ووالدتي ايضاً فقدت طفلها الاول وكما ترى فانا فقدت اصبع رجلي اليسرى لاني رقصت كما يحلو لي»

ثم التفت اليها قائلاً: «اي فتاة تستطيع أن تستغني عنه: انه ليس شيئاً عظيماً لتفقده، انهم يبغون هذا افضل اصابعي»

فاجابته من دون ان تلتفت اليه: «اسمي (بلاك بيرد)، فبماذا ينادونك - (كروكليج)؟»

فأشار برأسه وقال: «اجلسي بقربي. فانا لست سيئاً لكي

وتعني الفوكس مان: الرجل الثعلب

تترددي في الجلوس بقربي، ويمكننا ان نكون متساويين».

فقالت: «لدي يدان لاثنين من اخوتي من زوجة أبي، كانوا ذئاباً مفترسة. وفي احدى وثباتهم صوبوا سهامهم باتجاه دب، وكل واحد منهم فقد شيئاً».

فقال (كروكليج) بخوف: «ماذا كانوا يدعون الدببة، احدهم كان يسمى الدب الابتر، والثاني الدب الاحم».

ثم قال (كروكليج): «لم أرغب بازعاجهم بعد ذلك».

فضحكت (بلاك بيرد) وذهبت الى البركة لتغسل قدميها ثم قالت: «اعتقد انهم نيام في البيت المطل على الجدول وربما يحلمون باستعادة اذرعهم واصابعهم مرة اخرى».

فقال (كروكليج): انا مازال غير راغب في ازعاجهم لانهم سيكونون اسوأ بأياديهم واذرعهم، لانهم من المؤكد سيستعملون عصيهم بهذه الحالة».

فخرجت من البركة وجلست بجانبه ثم ضحكت

وقـالت «انهم ليسـوا قواداً انهم يحملون المقـاليـع وهم أفضـل من أي قائـد. لقـد رأيتهم يرمـون الحجارة على ارنب، ولكنه ولى هارباً. ولحد الان لم يعرفوا أين ذهب؟»

قال (كـروكليـج): «اعتقـد أن عليَّ أن استمـر في المسيـر عبـر الغـابـة يا(بلاك بيرد)، عليَّ أن أرحل بعيد ولا اريد أن افقد الضياء».

فنهضت (بـلاك بيـرد) أيضـاً وقالت: «حسنا لنحاول عدم فقـدان الضيـاء القـوي، فأنا اخشىٰ الذئاب، لأني من قبيلة (الفوكس) ولست من قبيلة (الولف)، من أين أنت؟»

لم يكن (كـروكليـج) يرغب بالاجـابـة لانـه ظن ان (آش) سترافقـه في احـلامـه ثم اجـاب: «أنـا من قبيلة (الدوك)، ويلقبوني (بكروكليج)».

فهزت (بلاك بيرد) رأسها وقالت: «أنا عرفت انك من (الـدوك)، فقـد شاهـدتـك تنتظر خارج الحضيرة حاملاً عصـاك فلقـد كنت على بعـد خطـوات منـك طوال مدة استلقـائـك على الاجمة. فكرت ان اطعنك بسكين في



بدايـة الامـر بسبب أبي واخـوتي. ثم شاهـدتـك تتـرك عصـاك خلفـك ففكـرت اني أسبقـك بعـد كل هذا والا ارسلك الى حيث السكوت الابدي».

فأجـابهـا: «أنـا سعيـد لانـك لم تفعلي ذلـك، فانا ارغب برسم صور، انظري هناك الى البركة، لقد رسمت بوماً يجلسَ على غصن واطيء».

فتحـركت الى مافـوق البـوم وقـالت: هذا يشبه رسم أبي، سيرحب ابي فيك من اجل ولده، هل يمدحك

والدك؟»

فاجابها: «كلا، كان أبي قائداً للحروب وقد طعن بثلاثة سهام، كان يمدح الرجال الذين اصيبوا بثلاثة سهام فقط، والرجال الذين اصابوا بثلاثة سهام قبل رحيلهم».

فقالت (بلاك بيرد): «أنا لااستطيع أن أفهم الرجال فهم يخافون من الصور ومع ذلك فهم يواجهون ذئباً أو دباً».

ثم أجاب قائلاً: «انا أبكي أمي (بلوستون) ولكني ايضاً لااستطيع ان افهم النساء. فهن قويات جداً في طرقهن وكذلك يتكلمن كلمات لاافهمها. هل تتكلمين لغة النساء؟»

فأومأت (بلاك بيرد) بخجل وأزاحت شعرها البني عن عينيها وقالت: «تبدأ الامهات بتعليمنا لهجتهن قبل تعليمنا لهجة القرية (اي كلام الرجال) فنحن نحلم بهذه اللهجة. هل هذا يحزنك؟»

فقال (كروكليج): «لو كنا نتكلم الكلمات نفسها لاصبحنا سعداء سوية ولكننا نتكلم عدة لهجات وهذا

مايجعلني حزيناً.»

فتحركت (بلاك بيرد) نحو شجرة مقدسة واستندت اليها ثم توجهت نحوه مرة ثانية وقالت: «سأفعل شيئاً فشيئاً، لن افكر بلهجة النساء، وسأصلي للرجل (ستون). سأفعل كل ذلك لانك تستطيع ان ترسم صورا كالتي كان يفعلها (الدير) العجوز قبل ان يحترق.»

فأيقن (كروكليج) انها تخطط لشيء ما فقال: «ألم يسألك أحد ذلك (يابلاك بيرد)».

فوضعت اصابعها على شعره الاسود ثم شدته بقوة وقالت: «قد لايحتاج المرء أن يطلب اي شيء من أحد اذا أراد هو ان يفعل ذلك.»

فقال لها: «حسنا (يابلاك بيرد) أخبريني عما ستفعله».

فقالت له: «سنذهب معاً الى قبيلة (القش) لنكون بمأمن نحن الاثنين، فالذئاب جبانه لاتهجم على اثنين، لكن على واحد فقط، فسنكون بمأمن معاً»

فاجأب: «هذا صحيح سنذهب معاً، لذلك سنكون بمأمن معاً.

فقالت (بلاك بيرد): «سنكون اكثر دفئاً في هذا الوقت

من السنة . »

فقال : «هذا صحيح ، في قريتي ، تختفي الغزلان للسبات والان فلا يوجد شيء يجعلني دافئاً» .

ثم نهضت (بلاك بيرد) من على الحشائش وكانت تتثاقل في مشيتها معه ثم قالت : , «أنت تملك الآن شيئاً اكثر من الغزلان المختفية ، فاذا صنعت بومة كما في مخيلتي بحيث تستطيع ان تنعب وتطير . فستجعلك تحس بالدفء لمجرد معرفتها . وستجعل قلبك يطمئن عند التفكير بها . »

فهز رأسه وقال : «ستبقى في مخيلتي طوال الوقت ، وستجعلني اثق بنفسي ، في حين يطمئن الفتيان أنفسهم بالقتال ، على الرغم من اني لم اسمع هذا منهم ابداً .

فضربته برفق على ظهره قائلة : «حسناً ، انا اقول لك الان ، كان أبي (الدير) زعيماً كبيراً ، وانا الان بدلاً منه» .

وفي الطريق عبر الغابة ، وجدا مصادفة كبشاً ميتاً ، كان الذباب الاسود يحيطه ، فرغبت (بلاك بيرد) في باديء الامر ان تطرد الذباب بعيداً ، لأنهم يعتقدون ان الذباب ينتسب الى قبيلة معينة .

لكن (كروكليج) قال لها : «انتظري ، فهو مازال حياً فقرونه وأظلافه تتحرك ، ولهذا قد يمكننا الاستفادة منه في شيء ما» .

وهكذا نزل الى الحفرة وسحب الكبش . وبعد برهة اكملت الطريق وهي تمشي بجانبه ولكنها كانت تنتظر رؤية ما اذا كان الذباب سيلحق بهما . وفجأة لحقت به مرة ثانية وبدأت تثرثر كما لو كانت . وعند حلول الظلام ناما تحت شجرة البلوط ، وبينهما وبين الذئاب مسافة قصيرة . في اليوم التالي قطعا طريقاً حيث يكسو الطين الرمادي الرواسب الرملية .

فقالت (بلاك بيرد) له : «عندما تنشأ صداقة بين رجل وأمراة ، فانه يهديها شيئاً ما ، فماذا ستهديني ! قصص عن والدتك وآش؟»

فنظر اليها متعجباً . إلا انها أضافت قائلة :

«لا تبدو كالجبناء . فانا لا اريد اصبعك ، ولكن اعمل لي صورة ، ارسم لي البوم مرة ثانية على هذا الطين ،

وفعل ماطلبته منه ، ثم انتهى من عمله على نحو جيد على بدت البومة كما لو انها تنعب وتطير وكانت تحرق

الطين بمخالبها الطويلة، ثم عرضها الى الشمس، وفي النهاية، تكون ظلال ازرق جميل جداً فيها. ولكن عندما بدأت تلضم السير الجلدي، قال لها (كروكليج): «انها تجف: وعندها ستتحول الى تراب، هل تستطيعين ان تضرمي النار، فأنا لااعرف كيف ستكون بعد هذا.»

فاستهزأت به وقالت: «حتماً استطيع، كل النساء تستطيع، فهن وصيات على عوائلهن».

فقال لها: اذن اعملي واحدة وبسرعة، ولاتسخري مني كثيراً، سأذهب وابحث عن مكان ننام فيه بينما انت تضرمين النار».

وعندما رجع كان لديها غصن مشتعل. كان يمسك بعصا في ذلك اللحظة حتى اسودت ثم مسحها فوق البوم الطيني. ثم وضع اظلاف الكبش فوق النار حتى ذابت. وماذاب منها كسا به البوم الطيني الاسود ثم عرضها لرياح المساء حتى تجف.

وقال: «الان ستمتلكين شيئاً لن يتحطم ابداً وسيظل يتلألأ. وستتسأل كل القبيلة من اي نوع من انواع الحجر صنعت. ولكنك ستستمعين وأنت صامتة حتى من دون

ضحك. وستكونين عظيمة حين ترتدين هذا البوم الاسود».

فوضعت (بلاك بيرد) البوم وقالت: «انا احبه اكثر عندما يكون لونه ازرق. ثم اني لاأحب ان اسكت عندما يتكلم الآخرون معي، لأني احس بالخطأ، وبهذا لن أكون عظيمة، فانا لااملك مأوى ولا طفلاً».

غضب (كروكليج) وقال: لماذا عليك دائماً ان تفكري بهذه الاشياء التي تهم النساء، لماذا لاتفكرين بي، هل من واجبي ان لاأعمل الاشياء التي تصرخ أو تطير؟ هل هذا لايعني شيئاً؟ وهلا توقفت عن التفكير بأني اعرج؟ فانا لدي اشياء اهم يجب ان اهتم بها

فركضت (بلاك بيرد) مبتعدة وهي تبكي وبأسرع وقت ممكن حتى انه عجز عن الامساك بها ولكنها عادت عندما حل الظلام. وناما في حضيرة صغيرة والى جانبهما النار التي اوقدتها باغصان الخلنج التي جمعتها. وحين استيقظا كانت الفرحة تغمر قلبيهما، وكانت الشمس قد أشرقت من جديد. وكانت (بلاك بيرد) سعيدة بيومها آنذاك.

واخيراً وصلا الى قبيلة (القش) فوجدا انها ليست كما كانا يعتقدان.
فليس هناك بيوت ولا حضائر. كان البحر اكبر كثيراً من جماعات كبيرة للذئاب وأصوات أمواجه عالية جداً.
تعيش قبيلة (القش) في منخفضات صغيرة على سواحل البحر ولم تعجب (كروكليج) رائحة بقايا قشورها. وسكانها يبدون اناساً مهملين، وهناك كانت البقايا تحرق أو تدفن حتى لاتتمكن الذئاب والكلاب من اخراجها. ولكن هنا فان قبيلة (القش) تطرح كل شيء على طول الساحل من دون اضرام النار لاحراق بقاياها».
فقال (كروكليج): «لااعتقد بأني سأبقى هنا طويلاً».
ثم حركت (بلاك بيرد) انفها وقالت: انك رجل فظ، انك تخشى الماء الازرق».
فاجابها: «وكذلك أنت، فما هو الفرق».
فقالت (بلاك بيرد): «الفرق هو انك رجل وانا امرأة، فالنساء كنَّ قد تعلّمنَ أن يعشن حيث يوجد التوت.

والرجال يذهبون ليبحثوا عن احلامهم ويموتون مصابين بثلاثة سهام مثل والدك، وهذا ليس من الحكمة في شيء».
فقال (كروكليج) بغضب: «اذن اذهبي لتجدي قوتك ايتها المرأة، أنا أريدك أن تذهبي، ولكن هذه الرائحة هنا لاتعجبني، ولهذا لن ابقى مدة طويلة.
فردت (بلاك بيرد) قائلة: «اذا كنت تعتقد باني سأعيد اليك البوم الطيني فانك مخطيء، لقد أصبح عزيزاً عليَّ ولن اعطيه حتى لرجل افضل منك (ياكروكليج)».
فهز (كروكليج) رأسه الاسود وقال: «انا لاافكر فيه، انه لايعني لي شيئاً قط، فانا استطيع أن أعمل واحداً آخر بل الكثير مثله. اذهبي وخذيه معك اذا لم تأتي معي الى مكان آخر (يابلاك بيرد).»
وفجأة ظهر رجل من المنحدر. كان اطول من (كروكليج) يحمل فاساً مصنوعاً من عظم الحوت كبير وحاد الى الحد الذي يجعل أي شخص لايرغب في مشاهدته. وهكذا كان شكل الرجل ايضاً. لان كتفيه لايمكن ان تمرا خلال ابواب قرية (كروكليج). كان ذا

وجه همجي الى الحد الذي جعل (كروكليج) يعتقد بأن قروناً تنمو في اعلىٰ عينيه الشاحبتين.

فقال الرجل: «أنت ايها الصغير الاعرج، توقف والا ضربتك، ماذا ستقدم؟ اي كنز؟ أي هدية؟ هل تعرف من اكون؟»

تقدم الرجل الى الامام متجهماً بفأسه الذي يهزّه بيديه، مما جعل (كروكليج) يلتفت بعيداً عنه ويضحك حين سمع منه هذا الكلام ثم نظر (كروكليج) خلفه فشاهد ان الرجل قد تجاهله وأخذ يسحب (بلاك بيرد) من شعرها ويهزّها ويضحك. ولكن (بلاك بيرد) لم تكترث كثيراً.

وعند ذاك غضب (كروكليج) غضباً شديداً ونسي خوفه من الناس ورجع مرة ثانية يبحث عن حجر يستطيع أن يرميه على الرجل، ولكن الحجر الوحيد الذي شاهده كان غائصاً في الرمال بحيث انه لم يستطيع سحبه. لذا فقد أخذ حفنة من الرمال والاصداف البيض وحاول جاهداً التقدم بثبات.

وفي تلك اللحظة نادته بلاك بيرد قائلة: اهرب، اهرب، سيؤذيك هذا الرجل». في غضون هذا الوقت وبينما كانت تتفوّه بكلماتها هذه كانت تضرب الرجل بكل ماأوتيت من قوة ولكن قدميها ماكانتا تؤذيانه. فقد شدّ، شعرها بقوة اكثر وهزها بعنف اكثر. لكنّ (كروكليج) صرخ به قائلاً: «اوقف ذلك».

فتوقف الرجل وحدّق فيه، كانت عيناه الزرقاوان الشاحبتان تجعلان المرء يخشى النظر اليهما. فقد شعر (كروكليج) بأن عينيه تغوصان عندما ينظر الى الرجل. وهذا لايحدث حين ينظر الى (بلاك بيرد). ولكن مع ذلك لم يكن يفهم مايكمن في العينين الزرقاوين الشاحبتين، هناك نوع من الفراغ فقط.

ثم قال الرجل: انا (شارك القرش) لم يقل لي أحد قط ان امتنع عن أي شيء يهمني. أنا الشيخ هنا. وعندما أصفر فجميع الاسماك تأتي قريباً من الشاطئ لكي نستطيع اكلها. سأصفر لك الآن وستأتي قريباً مني ثم سأضربك بفأسي هذا هل هذا يناسبك؟»

لم يجب (كروكليج)، لقد عمل مابوسعه ليكون شجاعاً وأن يفكر بما يستطيع عمله لافتراء هذا الرجل.

فقذف الرجل بالاصداف ولكن الريح ابعدتها . فرجع معظمها على يد (كروكليج) وجعلته نصف اعمى .
وبينما كان يدمدم سمع الرجل يصفر فشعر بأن ساقيه تنسحبان باتجاه الرجل الوحشي ذي الشعر الاحمر.

وعندما كان على مسافة ثلاث خطوات من الرجل فقط توقف الصفير، فقال الرجل بوحشية «قف الان أيها الصغير، سألتهمك كالسمكة . »

فصرخت (بلاك بيرد) وقالت «اهرب، اهرب، فأنت ضعيف جداً، ولاتستطيع مساعدتي فماذا يمكنك أن تفعل لهذا الشيخ . » فقال (كروكليج) انظري حاولي أن تمسكي بيديه بينما سأحاول أن آخذ فأسه . » .

فضحك الرجل وضرب (بلاك بيرد)، كانت كالسمكة الميتة، وفي النهاية أمسكت بذراعه اليمنى فتقدم (كروكليج) وأمسك بمقبض الفأس.

لم يمسك (كروكليج) شيئاً بهذه الضخامة طوال حياته، لقد شاهد (بلاك بيرد) تتدحرج بعيداً باتجاه الرمال. كانت تتدحرج ابعد فأبعد، ثم شعر ذلك بأنه

يُرفع وفي النهاية كان عليه أن يترك الفأس ويبتعد . لقد شاهد بعض أصداف الاسماك وقد علقت بوجهه من بركة المياه الضحلة. كان الماء ضحلاً ومالحاً جداً .

وحالما رفع رأسه من البركة ارتطمت الفأس في البركة في مكان رأسه نفسه. لذلك أخذ يتدحرج مبتعد الفأس مرة ثانية .

واستنشق الهواء ليبتعد اكثر، فسمع وقع خطى اقدام (بلاك بيرد) على الرمال الصلبة ونظر اليها فشاهدها وهي تقذف بحفنات من الرمال بوجه (شارك). فترنح الرجل متراجعاً وهو يفرك عينيه .

فصرخت (بلاك بيرد) : «اهرب يا(كروكليج)، ابتعد عن الشاطيء، بينما اشغله هنا، ساتبعك، ساتبعك . »

وهكذا نهض (كروكليج) وهرب بكل ماستطاع من قوة عن هذا المكان البغيض. ولكن عندما وصل الى الكثبان حيث تنمو الاعشاب البنية الشائكة . شاهد الرجل يمسك (بلاك بيرد) مرة ثانية وهويحملها باتجاه الكهوف في الجبهة الصخرية .

لم يعرف ماذا سيفعل بعد ذلك . لقد شعر بخيبة أمل

أكثــر من أي وقت مضىٰ . لقـد تمنىٰ لو كان يستطيـع ان يستخدم فأساً ليخيف «شارك» به . فبكىٰ وهو يضرب يده بالصخر وتمنى لو كان يستطيع القتال بدلاً من صنع التماثيل .

اخيـراً حل الظـلام بينما هو يواصل طريقه ثم نام في اعلىٰ الصخرة حيث لايستطيع ان يصله اي شيء في الظلام .

وفي الصبـاح التـالي نهض وهـو يفكر (بالبلاك بيرد) ولكنـه لم يجـرؤ على العودة الى الشاطيء ويرىٰ أين هي الان . لقـد كان يحلم طوال الليـل بشعـر الرجل الاحمر وبعينيه الشاحبتين وفأسه المفزع ، وهو الان يشعر بمرض يمنعه حتى من التفكير فيه مرة اخرىٰ .

وهكــذا نزل (كـروكليـج) من أعلىٰ الصخـرة وسـار والشمس الى خلفه لكي يكون حذراً من أي ظل وراءه . ثم وجـد صخرة رطبة وكانت القواقع تزحف فأكل بعضها كانت الاصـداف خشنـة جداً في فمه . ولكنه كان جائعاً جداً الى الحد الذي جعله يلتذ بطعمها .

لقـد مضـغ اوراق الاشجار لاخذ الرطوبة منها فقط .

ولم يبلع اللب المتبقي في فمه عندما نفذ السائل منها .

وبدا يتساءل فيما اذا جرؤ على العودة الى قريته وبدأ يفكر أي طريق عليه ان يتخذه ليصل هناك . وبعد مسافة بعيـدة ولمـراحـل كثيـرة . استطاع أن يرىٰ ثلاث صخور شاخصة كانت بمنزلة دليل للطريق ولكنه شعر بأنه متأكد بان هذا ليس هو الطريق الى بلده . ولم يرغب أن يلاقي أيـة قبيلة لايعـرف شيئـاً عنهـا . وحتى لو استطـاع ايجاد طريق للعــودة الى قريتــه فان (هـوي) (وآش) (وبـون) سيكـونـون هنـالـك ينتظـرون ليسألوه اين كان ولماذا لم يبعث باخبـاره بعـد القتال مع قبيلة (الفوكس) . وسيكون (فـانـك) القـائـد هنـالـك وهو لايحبه كثيراً وسيسأله عن اصبعه مرة اخرىٰ و(كروكليج) لايحتمل حتى التفكير في هذا .

لقـد كان تعيسـاً جداً ، وبـدأ بالبكـاء ودمـوعه تنهمل على خديـه بينمـا كان يركض منـدفعـاً الى الامام . كان هناك ذئب بني رمادي الجانبين ، كان يقف تحت اغصان شجـرة البلوط يراقب بعينيـه الصفـراوين (كـروكليـج) ، ولكن (كـروكليـج) لم يكتـرث له ابداً . ثم ركض باتجاه

الـــذئب وهـــو يبكي. ووقف الـذئب يراقبـه من دون أن يهـاجمـه، فلم يسمـع الـذئب الرجال يطلقون مثل هذه الاصـوات من قبـل، وظن بأن هنـالك صياد لاصطياده. لذا تركه يواصل طريقه.

وعند الغروب وصل (كروكليج) متعثراً الى نهر أزرق متعـــرج. كان الـرجـال يجلسـون في قوارب من الجلد ليصيـدوا السمك بالصنارات وكان هنالك دخان يتصاعد من بين الاكواخ، كان يشمُّ رائحة عصير يُطهىٰ. لقد كان جائعاً الى الحد الذي جعله ينزل مسرعاً نحو القرية.

قريباً من النهر كانت هناك سفينة من غير جدران وكان السقف المكسو بالقش يستنـد الى جذع الشجرة، كان الـرجـال والنسـاء والأطفـال يجلسون تحت هذا الملجأ وكـانت هنـاك امـرأة ترتدي رداء أحمر من الكتان تسكب العصيدة في أوانيهم.

نظرت المرأة الى (كروكليج) عندما وصل الى جانب الملجأ فقـالت: «من أنت؟ اذا كنت تريـد ان تأكل معنا فيجب أن يكـون لديـك إنـاء. فنحن لانأكل بأيادينا مثل بعض القبائل الوحشية، فنحن قبيلة متحضرة هنا.»



ثم استمـرت المـرأة بعملها وبدت كأنها قد تجاهلته فنظر اليه بعض أفراد القبيلة ولكن ليس بغضب بل لأنهم لم يشاهدوا أحداً مثله من قبل ثم جاءت فتاة صغيرة اليه واعطته وعاء خشبياً ورجعت بعد ذلك الى امها.

وهكذا أخذ (كروكليج) الوعاء الى المرأة ذات الرداء الاحمر فملأته له من دون أن تقول أية كلمة

ثم لمس شيخ ذو شعر ابيض ساق (كروكليج) فأشار

الى المكـان الـذي يجلس فيـه على الارض . وبعد مدة عنـدمـا فرغ وعـاؤه نهض (كـروكليـج) وأعاد الوعاء الى الفتاة الصغيرة وقال لها : «أنا من قبيلة (الدوك) ويدعونني (كـروكليـج) . فاجابته الفتاة الصغيرة : «انا لم اسمع أي شخص يسألك عن المكان الذي أتيت منه أو من تكون . في هذا المكـان نحن نهتم بأعمـالنـا ولاتتـدخـل بأمـور القبائل الاخرى واذا كان لديك شيء تقوله فاذهب الى زعيمة النساء التي اطعمتك واخبرها . هذه هي العادة هنا» .

لذا تقدم (كروكليج) حيث تجلس المرأة ذات الرداء الاحمر على كرسيهـا المرتفع وركع امامها وقال : ادعى (كـــروكليـج) وأنـا من قبيلة (الـدوك) . شكـراً لك على العصيدة فقد كنت جائعاً جداً .

نظـرت اليـه زعيمـة النســاء وضحكت ثم ربتت على شعـره الـذي (بلون الذرة) وقالت : «أنت محظوظ لانك على قيد الحياة لانه لاتوجد الان قبيلة اسمها (الدوك) . فقـد أحـرقتهـا قبيلة (الفوكس) والان أحرقتها قبيلة (تاجر البـادكـر) أيضـاً . لقد كان احد افراد قبيلتنا يجلـس امس على شجـرة عاليـة وشاهد كل هذا . ولهذا لاتملك الان بيتاً ترجع اليه . ويمكنك البقاء هنا اذا رغبت» .

فقال (كروكليج) : «من انتم؟ واذا بقيت معكم فماذا ستجعلونني أفعل؟ وماذا تطلقون على الاله هنا؟»

كان جميـع أفـراد القبيلة في الملجأ الطويل يصغون اليه ويهمسون وفي بعض الاحيان يضحكون على الطريقة الغـريبـة التي ينطق بها كلماته .فكانت المرأة ذات الرداء الاحمر تبتسم له بهدوء وتؤشر للجميع بيدها ليصمتوا لحظة .

فقالت له : «نحن قبيلة نهرية ولسنا من قبائل البحر أو الغابة أو التلال فنحن لانهتم من أين ينبع النهر والى أين يكـون مصَبـه . انـه يمـر بقـريتـنـا وهذا مانهتم به وحياتنا متـوقفـة على نهـرنا وهو الاله الذي نعبده ونحلم به . فاذا أردت ان تبقى معنـــا يجب عليـك أن تتعلم كل الاشيـاء التي تهمنا ولانريد اكثر من هذه الكلمات منك وسندعوك (نوي لايت) نور الغسق والغبش لانك تمتلك شعراً بلون الليل» .

نظرت اليه لحظة ثم وضعت يدها على شعره ولمسته

بأصابعها الطويلة البيض وقالت: «نعم، انه شَعْر من هذه البلاد. شَعْرٌ بلون الشفق. حسنا عرفت الان اسمك. انا الزعيمة هنا ولاأحد يعترض على قانوني، هل تعترض انت؟»

فاجابها (نوي لايت)، «أنا أبداً ياسيدتي. انا سعيد لأني املك سقفاً فوق رأسي ونارا اجلس قربها فانا لستُ رجّلَ حرب».

فقالت بهدوء: «رجل حرب؟ رجل حرب؟ لقد عملنا مكاناً صغيراً لرجال الحرب هنا. نحن نعيش بسلام الى جانب النهر، فاذا تكلمت عن ايذاء القبيلة هنا فسيطردك افراد قبيلتي من هنا».

ثم ذهب معها بعد ذلك الى جوار الجدول الضحك وشاهد السقائف التي كانت تمشط فيها النساء الصوف. ويضعنها في المغازل لحياكتها وتحويلها الى قماش. وشاهد الرواقيد الخشبية وهي أوعية ضخمة تستعمل للصباغة حيث تصبغ فيها جميع الوان الموسم الاخضر للربيع والاصفر للصيف والاحمر للخريف والابيض للشتاء.

قالت له: «تعال الان (ياتوي لايت) وسنشاهد ماذا يفعل الرجال».

فقال لها: «سيدتي. انا لست رجلاً عادياً، فأنا اسير على رجل واحدة وكذلك فانا لست شجاعاً جداً».

فنظرت اليه مدة طويلة وابتسمت ثم قالت: «انا استطيع ان ارىٰ بانك آذيت رجلاً واحدة. ولكن هذه ليست الطريقة التي تصف فيها نفسك. لا(ياتوي لايت) اذا كنت غير مستعد أن تمشي فعليك أن تمشي معي».

وهكذا ذهب معها الى مكان الرجال وشاهد الجلود وهي تبسط وتعالج لتصبح اكثر نعومة. والسمك الطازج ينظف وتهيأ لوضعها على النار.

وفي مكان ماشاهد (نوي لايت) رجالاً على شجرة بلوط عظيمة يخمرون الشعير. فقال للسيدة: «هناك عدة أشياء تحدث في العالم هذه الايام. حتىٰ ان الشخص لايفكر بأن الكثير يحدث في الوقت نفسه».

فضحكت السيدة وقالت: «انا اكبر منك قليلاً ولكني أعرف بأن الحياة لاتبقىٰ كما هي». ثم تمشت في الردهة مدة لحظة ثم استمرت في الحديث قائلة: «لقد،

لقد وجد بعض رجالي حجراً غريباً في مناجمهم . انه
لايشبه أي حجر آخر» .

ذهبت السيدة الى جزانتها ورجعت وهي تحمل
قطعة من هذا الحجر الغريب . حك (توي لايت)
الحجر باظفر ابهامه ووجد ان مكان الحك يشع بصفاء .

فقال (توي لايت) «ان بامكاني أن اعمل ذئباً أو بوماً
على هذا الحجر فانا اعرف كيف تبدو» .

فقالت السيدة : «بوم أفضل من ذئب فانا لااستحسن هذه
الوحوش ولكن اعمل كما يحلو لك وسوف ارى ماذا
عملت، ربما ستكون ذا فائدة في هذه القرية» .

تحمل (توي لايت) أياماً كثيرة بهذا المعدن الاحمر
وكان يفكر في البداية في البوم فقط أو برجال مصابين
بثلاثة سهام أو بعواء النساء عندما يعلمن ان (بود) لن
ياتي ابداً .

واخيراً رأى بأن وحشاً ذا اربع أقدام أو بقرون يكون
شكله أفضل بالنسبة للعين والاصابع . وهكذا تحت
الشكل . شكل يمكن أن ينظر اليه او يُلبس حول الرقبة .
أو، اذا كان كبيراً الى حد يكفي أن يكون ترساً لرجل

حرب .

وعندما انتهى من الدبوس النحاسي ، قدمه الى
المرأة . قالت : «هذا اجمل شيء ، لم أشاهد مثله من
قبل» . والان سأخبئه بعيداً ولا اخبر أحداً عنه . فقد يأتي
شعب «القُش» ليأخذوه مني» .

فاجابها (توي لايت) قائلاً : «انا لم أصنعه لتخفيه . وانما
لكي ترتديه حول رقبتك برباط جلدي ليشاهده كل
الرجال . ماالحكمة من صنع هذا الحيوان الفاخر
ولا يشاهده احد» .

فابتسمت له وقالت : «حسناً ، سارتديه ولكنني
متأكدة من ان الرجال سيشاهدونه ويتساءلون كيف منح
لواحدة من نسائهم» .

فقال (توي لايت) : «لم أرغب بالقتال من قبل ،
ولكنني سأقاتل من أجل هذا الدبوس . هل تعلمين ،
عندما يصنع الرجال شيئاً ما من اللاشيء وبأيديهم ،
يقترون به حتى لو منحوه لشخص آخر، وتبقى ذكراه
راسخة في مخيلتهم وقلوبهم ، بماذا ينادونك؟ هل
تعرفين اني لم أجرؤ على سؤالك من قبل . الان فقط

تجرأت لانك احببتي الدبوس الذي صنعته لك».

فاجـابت المـرأة ذات الشعـر الـذهبي: «اسمي «ونـدر»، ومن الان سيـرافقني ثلاثـة رجـال ليحمـوني، يجب أن يحمىٰ هذا الـدبـوس. وربمـا أنـك صنعته لي فسأجعلك ترافقني. وهكـذا ستكون بجانبي وفي مقدمة الجنـود. فاذا رغبت، فسـاخبـر القبيلة بأنني اختـرتك. فهل ترغب ان تكون زعيماً لشعبي؟»

فهز (توي لايت) رأسه وقال: «كلا يا(وندر)، انا فتىً كسيـح، وأحب أن أصنـع أشكـال الحيـوانـات، فكيف تجعلينني زعيماً لقبيلتك، أنا لست شجاعاً بهذا القدر. فلا استطيـع رمي السهـام جيـداً، ولااستطيـع اسـداء نصيحة للمقاتلين، أوحتى بذر الحنطة في وقتها».

فضحكت (ونـدر) وقالت: «كل انسان يمكن أن يتعلّم، وستكـون سعيـداً عندما تصبح واحداً منهم. من يستطيع صنع مثل هذا الدبوس يمكنه أن يعمل خيراً منه ثم انهم لايتوقعون شيئاً آخر منك..

ونذر: تعني بالعربية «التعجب»

وهكـذا بقي (تـوي لايت) بينهم عدة شهور، وقدموا له قطعـاً من الحجـر الاملس والنحـاس وطلبـوا منـه أن يصنـع لهم الـدبـابيس. وبنـوا له كوخـاً يطـل على النهر الازرق وقـدمـوا له الطعـام والشراب وجلد الغزال مقابل الاشياء التي يصنعها.

كان رأسـه مملوءاً بالافكار ويده لاتكفُّ عن العمل. وبسكينـه وازميله العظمي وحجـر الصـوان استطـاع أن يعمل عدة أشكال ولجميع مراحل الركض أولنسور طائرة أو أسمـاك ساعـة أومقـاتلين صامـدين في معـركـة مع سهـامهم وأزاميلهم المصنـوعـة من الاغصـان المجدولة وراء ظهورهم. كان المقاتلون يأتون وينتظرون الى عتبة بابـه عدة أيـام. وهم يشـاهـدون يده النـاعمـة منهمكـة بالعمـل. قال أحـدهم كان يدعىٰ (إديـر): «آه، لوكنت أستطيع عمل مثل هذه الاشكال، لكنت أسعد رجل في العالم. فصنع هذه الاشياء أفضل كثيراً من مقاتلة الدببة والـذئـاب. لوكان لي ولـد، لتمنيت أن يعرف صنع هذه

إدير: يعني بالعربية أفعىٰ

الاشيـاء، فهـل تستطيـع تعليم الآخـرين كيف يصنعون مثل هذه الاشياء؟»

هز (توي لايت) رأسه ثم قال: «أنا شخصياً لاأعرف كيف استطيع صنعـها، فكيف أستطيع أن اعلّم غيري، انها افكار راسخة في رأسي وفي عينيَّ ويديّ. فهو شيء لايمكن ان اعلم الاخرين كيف يصنعونه».

فهـز المحـاربـون رؤوسهم وأجـاب احـدهم قائـلاً: «حسب اعتقادي، انه ملك لخيالك، انه لك فقط، فاذا منحته لغيرك، سيفقد جزءاً مهماً منه».

وهكـذا حفر (توي لايت) بسكينه شمعة للمقاتلين، وعمـل باحـد السهـام الافعى الهـزازة وعمـل دبوساً آخر (لوندر) من الحجر الاسود الذي عثر عليه في النهر. على هيئة يد الانسـان وهي تمسك سنبلة قمح. وعندما قدمه لهـا قالت له: «الان لاتستطيـع أن ترحـل عنـا، ولأننـا نستطيـع أن نعـرف من تكـون أنت، أنت الـرجـل الذي احتـال على الـذرة حتى تنبت على الارض. وهكـذا نستطيع جمعها بأيدينا وحصدها بمناجلنا لقد اصبح كل شيء واضحـاً الان لي فاذا رحـلت عنـا، فلن ينـمـو

محصـولنـا مرة ثانيـة، وستعم المجاعة في القبيلة، ومرة ثانيـة اكـرر ان تكـون زعيمـاً لقبيلتنا، وتدير امور شعبنا، وهكـذا ستجلس بالقرب مني وفي كوخ مخصص لادارة امور الحكم؟»

وافق (توي لايت) بعرض (وندر). ولهذا الخبر رقص شعب (الـرمـز) وغنى. وابتهج الجميع لانهم اعتقدوا ان القحـط لن يعاودهم مرة ثانية. وفي تلك السنة، ازدادت محـاصيـل الشعيـر كثافة الى درجة جعلت من الصعب المـرور بين الاغصـان والبـراعم الجـديـده، كان أفضل محصول في تاريخ شعبهم.

ولهذا اصبحت النساء تهرع اليه وترتمي ساجدة على الارض، عنـدمـا تشـاهـد (تـوي لايت) يتنـزه على الشـاطيء، متـوسلة اليـه بلمسـةٍ منـه لشفـاء أطفـالهن المصابين بالسّعال أو كسر أحد اطرافهم. وحسب قولهن ان (تـوي لايت) يمكن ان يشفي اطفـالهن. وهكذا كان يفعـل (تـوي لايت) مايطلب منه، ولكنه على الرغم من هذا كان دائماً يخبر النساء ان سعة خياله هي التي تمكنه من نحت ورسم مثـل هذه الاشيـاء. ولكنهن لـم يصدقن

مايقوله واعتقدن انه يهزأ منهن.

وفي أحد الصباحات المشرقة، بينما كان الجميع ينعم بالسلام، شاهد أحد الفتيان وهو يراقب في اعلى التل المطل على النهر، المار عبر القرية، ان شعب «القش» يتجهون الى القرية وبزوارق جلدية. فاصطحبت (وندر) (توي لايت) الى التل وأشارت قائلة: «انه على حق، لم أر مثل هذا العدد الهائل منهم انهم يشكلون صفين، وفي كل قارب ثلاثة رجال. انهم يشكلون فرقة قتال. وزعيمهم في الزورق الاول، انه يدعى (شارك) ذو شعر أحمر وعينين زرقاوين ويحمل بيده فأساً عظيماً، وهو رجل متوحش، وسيواجه مقاتلونا صعوبة في دحرهم، ماذا سنفعل يا(توي لايت)؟»

فاتكأ (توي لايت) على برجمة وهو يفكر ثم قال: «من اكون حتى أوجّه المقاتلين بماذا يجب أن يفعلوا، أنا شخصياً لااستطيع القتال؟»

وفي غضون ذلك جاء إدير راكضاً نحوهم ثم ركع

شارك: تعني شارك في العربية القرش

امامهم وقال: «ماذا سنفعل ياسيدي، فان عدد مقاتليهم يزيد على عدد مقاتلينا بنسبة الضعف. ماذا سنفعل؟ يجب أن توجهنا».

فأجابه (توي لايت): «اذا اشتبكنا معهم، فسيقتلوننا جميعاً ويأسرون نساءنا وأطفالنا. واذا ولينا هاربين، فسيغتصبون أرضنا، ولن يكون لشعب (الرمز) بعد هذا اليوم وطن. ولهذا قررت، أن اطلب منهم المفاوضة ليتراجعوا الى أماكنهم ويتركونا وشأننا».

فضحك (إدير) من كلامه، ولكن (وندر) هزّت رأسها وقالت: «اذا كان هذا هو رأيك، فسنفعل باقتراحك، ولكن اعلم انهم لن يستمعوا لنا».

في هذه الاثناء. كان شعب (الرمز) يتحشدون، وكان المقاتلون يشكلون حلقة ليحيطوا النساء والاطفال وهم ينتظرون حاملين سهامهم.

وتوقفت زوارق شعب (القش) الجلدية عند وصولها بين القصب، وقفز مقاتلوها وهم يحملون فؤوسهم العظيمة، واتجهوا مسرعين الى القرية. كان (شارك) في مقدمتهم ووجهه مغطى بالطين الابيض وشعره المشحم

المعقود في اعلى رأسه ليبدو اكثر طولاً.

وحينها فوجيء (توي لايت) بمنظره، وشعر برهبة منه. ووقف بجانب (وندر) محاولاً أن لايرتجف. وأحس بالعرق يغطي رأسه ويديه عندما بدأ (شارك) خطواته الواسعة باتجاههم، كان يبتسم كوحش البحر، كانت عيناه زرقاوين تبدوان كحجر الصوان.

وتقابلا مع بعضهما وجهاً لوجه، ولم يفصل بينهما غير بضع خطوات وساد الصمت بعض الوقت. ثم قالت (وندر) بشجاعة عارمة: «من أجل ماذا قدمتم؟ هل نفذت الاسماك في البحر؟»

فاجاب (شارك) وهو يستهزيء بكلامها: «لايمكن أن تنفد الاسماك من بحرنا. لم نقدم ونحن جياع مثل بقية الشعوب. نحن شعب محظوظ وشجاع. ألم تسمعي بهذا؟»

فأجابت (وندر) بصوت أجش: «سمعت أشياء كثيرة عنكم. لم تكن جميعها جيدة. من أجل ماذا قدمتم؟»

فتراجع الى صفوف مقاتليه وهو يضحك ثم أجاب قائلاً: «لقد سمعنا عن الاشياء الجميلة التي تمتلكونها،

وعن الرجل الذي يمنح الحظ لقريتكم، ولهذا السبب قدمنا، قدمنا من أجل هذه الاشياء الجميلة وهذا الرجل ايضاً. وسنأخذ هذه الاشياء ونصطحب الرجل معنا. ولن نؤذي أحداً. أما اذا لم تعطونا مانريد. فسنأخذها ايضاً ولكن بطريقة أخرى، وفي هذه الحالة قد لاتحبون ماسنفعله بكم وبقريتكم».

وفي تلك اللحظة شعر (توي لايت) أن قبيلة (الرمز) باكملها تنظر اليه، وفي النهاية عبّر عن رأيه ومن دون تردد قائلاً: «اذا سلبتم هذه الاشياء، فسيرحل الحظ عنكم ولاتعم قريتكم غير التعاسة. اما اذا أخذتموني عنوة، فسأصبح عاجزاً عن أداء أي عمل لكم. وسأكون غير سعيد، وسأتجرد من خيالي. وستكون مساومة فاشلة لكل منا».

فاجابه (شارك): «أنت أشجع بكثير الان مما كنت عليه من قبل».

وتظاهر برمي فأسه باتجاه (توي لايت)، ولكن على الرغم من هذا فان (توي لايت) بقي ثابتاً في مكانه أمام انظار كل القبيلة ولم يتحرك. فنظر (شارك) اليه بغضب

في تلك اللحظة، وهو شخص لايتحداه أحد عادة.
فقال له بخشونة: «عندما أتكلم، تصغي كل القبيلة لي.
ولاأحب ان يقف أمامي كسيح نزح من احد الجزر
معلقاً. ولتعلم انني سآخذ الاشياء وسآخذك أيضاً. أما
كلامك هذا فسنناقشه فيما بعد. أما اذا جلبت لنا هذه
الاشياء الحظ التعس فسوف نرميها في البحر، وعندها
سينتهي الحظ السيء. واذا لم تتمكن من صنع مثل
هذه الاشياء، فسنجعلك عاجزا عن العمل بعد هذا.
لاننا سنربط يديك ونعرضها للنار حتى تحترق، ماقولك
الان، ايها الكسيح؟»

وعندها حدّق جميع أفراد قبيلة (الرمز) الى (توي
لايت)، وفجأة تجرد من خوفه والتفت الى (إدير) وقال:
«أعرني عصاك، ياأخي. انتهى الحديث الان. من
الذي يتوقع أن يفهم وحش البحر حكمة الرجال؟»

وساد في البداية سكون عميق، وفجأة بدأ (شارك)
بالضحك وكل مقاتليه وهم يرقصون ويصفعون
ارجلهم. وضحكت حتى قبيلة (الرمز) قليلاً ولكن
معظمهم ضحكوا بعد أن غطوا وجوههم بأيديهم.

فقال (إدير): «سآخذ مكانك (ياتوي لايت)، فأنا قد
اصمد مدة اطول أمام هذا الرجل».

ولكن (توي لايت) امتعض من قوله وقال: «ألم
تسمعني؟ اعطني رمحك. فلماذا تموت بدلاً مني؟ أنا
لم اطلب منك ذلك.

فاعطاه (إدير) الرمح ونظر (توي لايت) حوله ليرى
مكاناً يوجد فيه فراغ يتراجع اليه عندما يهجم (شارك)
عليه بفأسه المرعب.

وبدأ يحضر نفسه جيداً، ووازن نفسه، ثم قال:
«لنبدأ، اذا كان لابد من ذلك».

كان (شارك) مستمراً في الضحك وكانت الدموع
تنهمر من عينيه وتنساب على خديه الغامقتين ثم توقف
عن الضحك وفجأة ركض باتجاه (توي لايت) ومن دون
سابق انذار. ولكن الحظ حالف (توي لايت) ليرفع
رمحه ويصوبه الى صدر (شارك) وهذا ماأوقف الهجوم،
ونظر (شارك) الى الجرح الطفيف بدهشة ثم وضع يده
اليسرى عليه ليتحسس مدى عمقه ثم غضب جداً. وبدأ
بالصراخ. فشعر (توي لايت) بالندم لفعلته هذه ولكنه لم

يكن هناك وقت كاف لان (شارك) بدأ يدور حوله وضربه بفأسه .

لقد رأى (توي لايت) الفأس قادماً نحوه ولكنه لم يستطيع تجنبه بسرعة . لقد كان (شارك) غاضباً جداً الى الحد الذي جعله لم يصوب على نحو جيد فاستدار مقبض الفأس في يده ، لذا فقد ضربت الجهة المسطحة من الفأس (توي لايت) وليس الجهة الحادة ، لقد قطّعت الضربة أنفاسه فقط ولم تجرحه . فغضب (توي لايت) جداً مما جعله ينسىٰ كل مخاوفه وآلامه قبل ان يصوب (شارك) مرة ثانية نحوه ، وصوب (شارك) فاصاب رجله . صرخ (شارك) وبدا يقفز على رجل واحدة . ثم وضع فأسه تحت ذراعه الايسر لكي يعالج ركبته . وفي غضون ذلك ، همس (إدير) قائلاً : «الان يا(توي لايت) ، الان يمكنك أن تقضي عليه» .

ثم هجم (توي لايت) مرة ثانية فأخطأ هذه المرة ولكنه أسقط فأسه على الارض .

فصاحت قبيلة (الرمز) «الان ، الان ، الان» .

ولكن (توي لايت) شعر بأن غضبه قد ازداد الى الحد

الذي جعله عاجزا عن فعل أي شيء .

وتفاجأ عندما رأى (وندر) وقد تقدمت ومدت قدميها لتفقد توازن (شارك) . وفجأة اختطف (إدير) الرمح وصوبه الى الارض من خلال جسم الزعيم .

ويدأ الجميع بالصراخ وهجمت قبيلة (الرمز) على الاعداء ، لقد شارك في هذا الهجوم النساء والاطفال فتمسكوا بأيدي وأرجل مقاتلي العدو عندما أرادوا استعمال أسلحتهم وفؤوسهم .

وعندما انتهىٰ كل شيء خرجت قبيلة (القش) من القرية متجهة يميناً عبر حقل الشعير الى النهر حيث قواربهم كانت ماتزال راسية .

ثم قال (إدير) ضاحكاً : «انهم لن يحتاجوا قواربهم مرة ثانية ولهذا سنستعملها لقد فعلت شيئاً عظيماً اليوم (ياتوي لايت) ، الان نحن نملك قائداً حربياً ، انك لم تخبرنا من قبل انك تستطيع أن تقاتل بالمهارة نفسها التي تصنع بها التماثيل» .

ثم قالت (وندر) له : «اذهب (ياإدير) ، وانظر اذا كان جميع رجال قبيلة (القش) قد رموا بأنفسهم الى النهر ،

سيحملهم النهر بعيداً من هنا، لاأريد ان ارى أي احد منهم».

ثم أضـاف (تـوي لايت) قائلاً: «أنا مريض جداً لما فعلتـه اليـوم. عليَّ ان لااستعمـل اي سلاح بعـد الان. مافعلتـه سيمنعني من عمـل أي شيء جميـل بعد الان. لم اكن أعلم بأني رجل سيء لهذا الحد».

فقـالت (ونـدر): «أنت لست رجـلاً سيئاً. كان لزاماً عليـك ان تفعـل ذلـك، وكنت الـوحيد الذي تجرأ على فعله. ليس سيئـاً ان تنقـذ قبيلتك كما فعلت انت. الان إستطيـع أن أعـرف أي نوع من الرجال أنت. انا مستعدة للركـوع لك أمـام القبيلة واناديك سيدي. وستكون هذه القبيلة ملكـك واذا كنت ستأخـذ يدي فسـأكـون خادمتـك. سأطبخ طعـامـك وسأخيـط الجلود لااصنع ملابسك. وستعيش في بيتي وتعدّه ملكاً لك».

فهز (توي لايت) رأسه وقال: «أنت الرئيسـة هنا. فانا رجـلُ غريب ليس اكثـر. فاسنـاني تصطـك ورجلي ترتجف، فكيف يمكنك أن تناديني سيدي؟ فانا لااحب نفسي الان، وأشعـر بأني مريض جداً حتى لااستطيـع

الاكل. انا لااساوي شيئاً الان».

وعـاد (إديـر) من النهر فعلق قائلاً: «انك تساوي كل شيء بالنسبـة لنـا، فلا احد يملك زعيماً مثلك. ستأخذ القوارب وتنزل بها الى مكان قبيلة (القش)».

ولن يكون الان هناك غير الشيوخ والنساء حتى يمكننا أن نرمي مقـاتليهم الى المـاء. وبهذا سنمحوهم ولن يكون هنـاك من يهـدد قبيلتنـا بعـد الان. لقد منحتنا السعادة، وستقودنا بالقوارب لندمرهم الى الابد».

وانطلقـوا قبـل حلول الظـلام، وذهبت (ونـدر) مع (تـوي لايـت) بقـارب واحـد وقـاد (إدير) المقاتلين. ولم تتـرك (ونـدر) (تـوي لايت) يجـذف القـارب وحـده بل جذفت اجـلالاً له. كان يحاول أن يخبرهم بانه لايرغب بالـذهـاب ولكنهم لم يصغـوا اليه. وفي تلك الليلة نزلوا عند ضفة النهر القريبة من التقاء النهر بالبحر.

وفي الصبـاح التـالي وقبل حلول الفجر نهضوا بهدوء واستمروا في نزولهم الى الشاطيء،
وقبـل ان ترتفـع الشمس في السمـاء كانـوا قد جاءوا الى المرفأ الصغير الذي توجد فيه قرية قبيلة (القش).

واعتقـد أفـراد قبيلة (القش) ان رجـالهم قد عادوا فاسرعوا الى الشاطيء لاستقبالهم .

وعنـدمـا تعـرفـوا على القادمين ، بدأوا بالبكاء ونثروا الرمال على رؤوسهم ومرّغ بعض الشيوخ والنساء انفسهم برمـال الشـاطيء . كانـوا يحشـون أفـواههم بالاصداف والاعشاب البحرية .

وطلب (إدير) من (تـوي لايت) أن يتـرك المقـاتلين يهـاجمـونهم ويطعنـونهم الطعنـات نفسهـا ولكن (تـوي لايت) قال: «كـلا ، لقـد عانـوا بما فيه الكفاية من جراء حزنهم . أنا لست من النوع الذي يجعلهم يعانون اكثر . هل ترضىٰ ان يتألم شيوخ ونساء قبيلتك؟»

فقـالت (ونـدر) وبصـوت عال: «انـك تقضي على مجمـوعة من الذئاب . اليس كذلك؟ هل أظهر لنا رجال قبيـلة (القش) أي عطف؟ انـك لن تكسب الحب من هؤلاء القوم باطلاقهم فهم لن يتذكروا بأنك زعيم عظيم» .

فأجـابهـا (تـوي لايت) قائـلاً : «انـا لا اكترث بماذا يفكرون ولا اريد من اي شخص أن يحبني لانني اطلقت

سراحه» .

وبعد برهة جاءت مجموعة من الفتيات الى الشاطيء واضعين على رؤوسهم الـدردار وهن يبكين . ورأىٰ (توي لايت) بان التي كانت تقودهن هي (بلاك بيرد) لم تتعرف عليه في البداية . ولكن بعد أن تعرفت عليه أحنت رأسها أمامه تنتظر أن يطعنها .

فاقترب منها قائلاً : «لايوجد أي مبرر لخوفك يا(بلاك بيـرد) . لقـد رعيتني في وقت ما . وقـدتني عبـر الغـابـة بأمان . ولهذا لااستطيع ان أؤذيك بعد ذلك» .

وابتسم بوجههـا ولكنهـا لم تبتسم له وقـالت: «انـا تركتك على الشاطيء ، هنا . وذهبت مع (شارك) فعليك ان تعاقبني لذلك . انا استحق ذلك فعاقبني» .

ولكن (توي لايت) ، أخذ يدها وقال: «لم افكر بهذا لان (شـارك) أجبركِ على الذهاب . لقد انتهىٰ كل شيء فلمـاذا تفكـرين بهـذا؟ اخبريني أين البوم الطيني الذي صنعته لك عندما كنا نتجول معاً؟»

فاجـابتـه (بـلاك بيرد): «لم يكن (شارك) يسمح لي بارتدائه ، لقد قال ان سحرها قوي جداً على فتاة مثلي ،

فوضعها على رفٍ في بيته ليصّلون اليها وتجلب الحظ لقبيلته».

فقالت (وندر) بازدراء: «انها لم تجلب كثيراً من الحظ، ربما كنتم افضل حالاً من دونها» كانت (وندر) لاتحب (بلاك بيرد).

ثم التفتت (وندر) الى (توي لايت) وقالت: «من سيقتلها أنت أم أنا؟ يجب أن نقدم بعض التضحيات من أجل الحظ السعيد والا لن يكون لنا شيء منه وحينها لن تحبك قبيلتنا. اذا لم تقتلها أنت، اعطني السلاح وساقتلها أنا».

فغضب (توي لايت) بشدة وقال: «كم مرة عليَّ أن أخبركم بانه يجب ان لايكون هناك قتال؟ اذا تكلمتم بهذا مرة ثانية فسأذهب عبر التل واترك قبيلتكم الى الابد. فالقتل يجب أن يتوقف بين القبائل».

فنظرت (وندر) اليه مستغربة من كلامه. ثم التفتت الى (إدير). وبدأ الاثنان وكأنهما يتشاوران ولكنهما لم يتفوها بكلمة واحدة ولم يكترث (توي لايت) لهما. وبالمقابل فانه أخبر الشيوخ والنساء بانهم آمنين

ولاضرورة لان يتدحرجوا أو يتمرغوا على الشاطيء مرة اخرىٰ.

وبدا على بعض المقاتلين من قبيلة (الرمز) التذمر بوجوه غاضبة ولكن (إدير) ذهب وسطهم وهدأهم، وتهامسوا فيما بينهم بعض الوقت ثم بدأوا يفتشون أن يجدوا شيئا ما.

ولم يستطع (توي لايت) من منعهم لانها كانت من أقدم العادات والتقاليد التي لايستطيع أحد ان يعصيها.

ولكنه رأىٰ ان (بلاك بيرد) قد علقت بومها مرة ثانية.

وعندما رأته (وندر) معلقاً حول عنقها قالت: «لماذا لم تعمل واحداً لي مثل هذا من قبل؟ أنا أحب هذا اكثر من الذي صنعته لي من قبل. اخبر الفتاة بأنه يجب ان تعطيني اياه. أنا أريده، ثم انا رئيسة القبيلة».

فاجابها (توي لايت) قائلاً: «سأصنع لكِ ولكن للفتاة الحق بالاحتفاظ بهذا. لقد صنع لها وحدها وليس لغيرها».

فعبست (وندر) وجهها وقالت: «ليس لهذه الفتاة الحق. انها من عبيدي الان، وسأرىٰ فيما اذا فعلَتْ

ماأقوله أو انها ستعاقب. يبدو ان الشجاعة قد خانتك (يانوي لايت). انت لست الرجل الذي اعتقدته».

فتقدمت (وندر) فجأة وأمسكت بالسير الجلدي للبوم الطيني. فصرخت (بلاك بيرد) وحاولت منعها لكنها لم تكن سريعة وقوية بما فيه الكفاية. ثم وجدت (وندر) أن الطين الخفيف قد تكسر بيدها. فرمته الى البحر بغضب وقالت: «كانت غلطتك يافتاة، كان يجب أن تضربيني حتى لاآخذه عندما طلبته».

فبدأت (بلاك بيرد) بالبكاء بعد ذلك فقال (توي لايت): «كانت غلطتك يا(وندر) وليست غلطة (بلاك بيرد). ان من الحماقة أن تتشاجر امرأتان على بوم طيني صغير. انظروا، سأذهب غداً الى أعماق الجزيرة وسأبحث عن الطين وسأعمل واحدة لكل واحده منكما. ولن يكون هناك مزيد من الدموع والغضب».

فقالت (وندر): «اذن لتعلم ان ماتعمله لي يجب أن يكون أجمل مما تعمله لها. لان العبد يجب أن لايلبس أشياء اجمل مما يلبسه سيده».

في تلك اللحظة كان (توي لايت) مرهقاً لدرجة لم

يستطع حتى التفوّه بكلمة واحدة. فذهب الى أسفل المنحدر، واستلقى لينام على فراش من السرخس.

وفي الصباح التالي انطلق الى الاراضي البعيدة وهو يتتبع جدولاً صغيراً. فقاده الجدول في النهاية الى بركة ضحلة حيث يكثر الطين. فجلس تحت أشعة الشمس وصنع بومين. واتضح له بانهما متشابهين تماماً، كان كل منهما جيداً كالآخر. وبدأ يفكر كيف اصبحت اصابعه تعمل بسرعة اكثر بكثير مما كانت عليه في السابق. وعند المساء كان البومان قد جفّا. لذا وضعهما في جرابه ورجع عبر المروج باتجاه الشاطيء. وفكر بأنه سيضع رماداً عليهما غداً لانه لم يكن يجيد اشعال النار.

كان سعيداً جداً، ويركض مع الضياء الاخير للشمس، وقد الف اغنية لتتناغم مع ركضه.

(اوك) و (اش) و (هوي) و (ثورن)
يشع نور الكواكب في الربيع
(ثورن) و (هوي) و (اش) و (اوك)
ترتدي القبائل الصوف في الشتاء

لم تكن اغنية جيدة كما كان يعتقد ولكنها كانت

افضل من لاشيء لتتناغم مع ركضته، ويبدو انها أعانت ساقه العرجاء كثيراً. لم يحاول من قبل تأليف الاغاني. كان يتساءل مع نفسه فيما اذا كان بامكانه تأليف الاغاني على نحو جيد كعمله للتماثيل. كان يحلم بالوقوف عند الموقد في ليالي الشتاء عندما يكون لديه وقت فراغ وعندما تترقب القبيلة قرص الشمس ليشرق مرة ثانية. حتى يتمكنوا من مواصلة أعمالهم في الحقل كالحرث بالمحاريث الحادة ثم يذر الحبوب في الحقل. وفكر بأنّ القبيلة قد تحب سماع أغانيه تحت الضياء الخافت والثلوج المكدسة عند الباب. وقد تجعل هذه الاغاني القبيلة سعيدة وتقضي الايام المظلمة بسرعة.

كان مايزال يفكر بهذه الاشياء عندما وصل الى حافة المنحدر، ونظر برعب الى الشاطيء الذي تحته. كانت البيوت ماتزال تحترق والشيوخ والنساء ممددين بين الصخور،

كان بعضهم متناثرين هنا وهناك ورؤوسهم تغطيها المياه وتتحرك باتجاه امواج البحر وهم ملطخين بالدماء.

فاندفع نحو الرمال الرخوة وهو يركض من مكان الى



مكان. لم يكن هناك أحد يجيبه فقد رحلت قبيلة (الرمز) بأجمعها، وهذه القبيلة المتروكة لاأحد يتكلم فيها.

وايقن عندها لماذا كان المقاتلون يتهامسون فيما بينهم واحس بالغضب نحوهم. وكذلك نحو (وندر) (وإدير). فمن المؤكد بانهما أمرا بفعل ذلك.

ثم هدأ وخالجه شعورٌ بالخوف من أن (بلاك بيرد) مستلقية بين هؤلاء على الشاطيء. وبدا يتفحصهم ولكنه لم يستطيع أن يجدها.

ثم جلس على احدى الصخور متسائلاً عما سيفعله بعد هذا. فهم لم يتركوا أية قوارب مستديرة خلفهم. فالطريق الوحيد الذي يعرفه للوصول الى القرية عند النهر كان على طول الشاطيء وبالقارب فقط. وانشل تفكيره حول كيفية الوصول الى هناك سيراً على الاقدام.

وتمنىٰ لو انه لم يذهب للبحث عن الطين لعمل البومين. لذا فقد غضب منهما لانهما تسببا في هذا الشيء. ثم اخرجهما من جرابه والقاهما أرضاً تحت قدميه. ولكنه عندما حطمهما شعر بحماقة لانه تعب كثيراً في صنعهما على هذا النحو الجيد، وربما لن يستطيع عمل أي شيء جيد آخر بعد الان. وشعر بالحزن نفسه الذي خالجه لاول مرة عندما رمىٰ الرمح على (شارك) لكن حزنه كان بطريقة اخرىٰ. لم يكن يرغب ان يتلف اي شيء، اذا كان من صنعه أم لا.

لم يكن يجرؤ على البقاء في القرية تلك الليلة مع جميع الشيوخ والنساء والاطفال المطروحين هنالك بسكون. لذا فقد تسلّق المنحدر مرة ثانية ووجد شجرة تسلّقها حتى يكون بعيداً عن الذئاب. لم يستطيع النوم

في تلك الليلة لانه ظل يفكر بأنه هو السبب فيما حصل على الشاطيء. لانه لولم يغادر القرية لكان قد منع المقاتلين من فعل ذلك.

وبينما كان جالساً على فرع الشجرة كانت الاغنية تراوده بين الحين والحين، ولكنها غير مسلية الان، ولا تمنحه الشعور بالسعادة ابداً. كم تمنىٰ لو أنه لم يغنيها لانها تمثل اغنية سيئة عندما يتذكر جميع المطروحين في البحر وجميع بيوتهم محروقة.

وفي الظلام الحالك وقف وحش تحت الشجرة وبدا يتشمم. وحاول (توي لايت) ان يعرف من أي نوع يكون هذا الوحش. ولكن الريح غيرت اتجاهها بالاتجاه المعاكس. واستطاع أن يخمن بانه أحد انواع القطط لانه قضىٰ وقتاً طويلاً بالصراخ وسن مخالبهُ. عندما سمع صراخه خاف جداً لان وحشاً له مخالب يستطيع تسلّق الشجرة وسحب الفريسة الى الاسفل. في البداية، كان يفكر بالصعود الى قمة الشجرة حيث الفروع الصغيرة التي لايستطيع الوحش السير عليها. لكن الخوف كان مسيطراً عليه لدرجة جعلته مشلول الحركة:

وقبـل بزوغ الفجر كان الوحش قد ولىٰ وهو يعوي وينبش الارض غضباً .

وعند طلوع النهار نزل من أعلى الشجرة وانطلق نحو بعض الاجمـة التي كساها اللون الازرق الضبابي عندما لامستها أشعة الشمس . واعتقد بأن النهر قد يكون خلف الاجمة وهنالك ربما يجد (بلاك بيرد) .

كانت اجمـة كثيفـة وحـل الظـلام داخلهـا مرة ثانيـة عنـدمـا سار في أعمـاقهـا . ويـومهـا لم يأكل غير العليق الاحمـر، ولكنـه وجد جدولاً حيث الماء الصافي والحلو المـذاق، لذا لم يشعـر بالظمأ ابداً . وفي القرية التي ولد فيهـا ، كان في بعض الاحيان يسافر المقاتلون مدة ثلاثة أيام من دون طعام ليغزوا قرية اخرىٰ . ولكن كان عليهم أن يأخـذوا ماءاً للشـرب والا فـانهم يمـوتـون . كانـوا يمضغون لحاء الشجرة عندما يشعرون بالجوع الشديد . ويمصون لحاء الاشجار عندما يشعرون بالظمأ ولم يتوفر لديهم الماء .

وفكـر (توي لايت) بكل هذه الاشياء وهو يتجول في أعمـاق الاجمـة . وفتش حوله عن شجرة ليتسلّقها ولكن

جميعهـا كانت مستقيمـة وطـويلة جداً . واقـل فروعهـا ارتفـاعـاً كانت عاليـة جداً بالنسبة له . وسيطر عليه خوف رهيب تمنىٰ حينهـا لو انـه يعـرف كيف يضـرم النار حتى تحميـه ألسنـة اللـهب الحمـراء من الـوحوش في ظلمة الليـل الحـالكـة . وحـاول اضـرام النـار بتوليد شرارة من احتكـاك صخرتين واحدة بالاخرى، ولكنه لم يحك غير بشـرة بُرْجُمـة . وفكـر كيف كانت النسـاء ذكيـات لانهن يعـرفن كيف يضـرمن النيـران ، حتى عنـدمـا كنَّ فتيـات صغيرات لايستطعن الكلام . ثم كسر شجرة صبار صغيرة واقتلع جميـع فروعهـا وبدا يقضم نهايتها ليصنع سلاحاً له . لم يكن سلاحـاً جيداً حتى انه لايؤذي ارنباً . فكيف لو انـه واجـه ذئبـاً قوي الجلد . ولكنـه اعتقـد بأن الذئب عندما سيشاهده بيده فقد يعتقد بأنه ماهر بالرماية ولهذا سيهرب .

وكـان والـده (ثـورن) قد علمـه في مرة من المـرات كلمـات قليلة من لغـة الـذئـاب فحـاول أن يتـذكـرها . كلمـات مثـل : «انـا وحش ، اذهب بعيـداً ، لايـوجد هنا شيء لك . ولكنـه لم يستطـع جمع جميع هذه الكلمات

معاً لأن اسنانه كانت تصطك بقوة. كان يعرف انه لو قالها لسيد الذئاب فان الوحش سيكون على يقين من انه خائف ولهذا سيهزأ به. وفكر بأنه من الافضل أن يوجه السلاح نحو الذئب ويصرخ بكل مالديه من قوة ضارباً الارض اليابسة بقدميه القويتين.

ولم يأت أي ذئب. وعند الفجر سار عبر الاجمة المتشابكة وهو على يقين بأنه يسير بالطريق الخطأ الذي لايؤدي الى النهر.

ولتمضية الوقت عبر الغابة المتشابكة، بدا (توي لايت) يفكر بكيفية عمل الاشياء من الحجر أو الطين أو المعدن. وفجأة راودته فكرة أوقفته عن مواصلة السير. كانت فكرة راسخة وواضحة في عقله مما قطعت انفاسه بعض الوقت. وكان عليه أن يستند الى شجرة حتى يتجنب السقوط. وبدا يشعر بخوف شديد من التفكير بأن عليه ان يعرف ماأخبر به في مكانٍ ما. وايقن ان بين القبائل في بعض الاحيان أشخاص يذهبون الى النيران من أجل محصول جيد، كانت لديهم أحلام غريبة ويعرفون اشياءاً لايعرفها غيرهم. وكان غالبا مايسمع

النساء يتحاورون بهذا، وتساءل في قرارة نفسه اذا كان مايعرفه الان يعني انه ذاهب نحو نيران المحاصيل في مكانٍ ما.

ثم جلس وظهره نحو شجرة البلوط حتى لايمسه أحد من الخلف وسافر مع أحلامه مرة ثانية. اما اذا حكم عليه بالنار، فيجب ان يتأكد من انه يعرف الحلم جيداً. لان من الخسارة الذهاب الى النار اذا كان المرء قد نسي الحلم. وبهذا ستكون صفقة خاسرة. وبدا يحاور نفسه قائلاً: كل الاشياء تملك شكلاً معيناً، فمن غير الشكل لايكون هنالك شيء. فالرجال هم اشكال. ولتشكيل دبوس فانك تأخذ طيناً بينما هو رطب وتترك اصابعك تشكله ثم تتركه في الشمس ليجف. ولكن عندما تعمل دبوساً من الحجر فانك تحفر الشكل اولاً على صخرة مسطحة ثم تأخذ ازميلاً حجرياً صلباً لتشقيق القطع، فالازميل الصلب يساعد على عمل الاشكال. والان، هنالك طريقة اخرى، طريقة قد راودت فكره منذ قليل.

كان عليه ان يتوقف عن التفكير لان الحلم لم ينساب في مخيلته كانسياب الجدول الان. وكذلك لأن ارنباً

صغيـراً كان قد خرج من بين نبــات الســرخس وجلس يصغي اليـه في احـد الجوانب. ولم يرغب (توي لايت) بأكــل الارنب لأن الارنب كان لايلمس في قبيلتــه ولان لحمـه كان محـرمـاً. ثم انـه لم يرغب بأن يعرف الارنب بمـاذا يفكر. لذا فقد كان يصفر ويتطلع الى السماء كأنه يفكــر بالغيـوم والطيـور. كان الارنب تعبـاً ولهـذا رحـل بعيـداً، كان يسمـع وقـع خطواته وهو يندفع باتجاه أجمة السـرخس الهشـة اليـابسـة. وابتسم مع نفسه مفكراً بأن هذا الحيوان لايمكنه ان ينقل حلمه الى باقي الارانب لينتشر.

وبعـد أن ساد السكـون بدا مرة ثانية يخاطب نفسه: عنـدمـا أصب الغـراء على القـالب الطيني. فان الغـراء يأخـذ شكـل القـالب وسيـدخـل حتى في أصغر الثقوب ويأخـذ شكلها. نفرض لو اني عملت قالباً كبيراً وصببت الغـراء فيـه؟ سيأخذ الغراء شكل القالب أيضاً. ولنفرض اني نحت شكـل الـذئب وصببت عليه الغراء في القالب وعندما يتصلب الغراء وأخرجه بلطف باداة حادة فسيكون لدي ذئب من الغراء.

وأحس بالفـرح يمـلاء روحـه فنهض وبـدأ يضـرب الشجـرة بعصـاه ليعمل شيئاً ما لان حلمه بدأ يتضح اكثر من أي وقت مضى.

ثم هدأ مرة اخـرى وجلس. وهنـا خاطب نفسـه: ان الغـراء يذوب في الحـرارة، وفي المطـر ايضـاً، وهـو لن يكـون صلبـاً ولكنـه لن يستمر كثيراً. ولكن لو افترضنا ان هنـالـك شيئـاً يقـاوم اكثـر؟ شيئـاً ما يجب أن يذوب اولاً ويأخـذ شكل القالب ثم يتصلب بعد ذلك، ويبقى على مدى الحيـــاة البشـريـة؟ ولكن الطين ليس كذلـك فهـو يتحـــول الى تراب بمجـــرد أن يجف أمـــا الحجـر فانـه لايذوب، اذن ماهو الشيء الذي يذوب ثم يتصلب بعد ذلك؟

وفجأة تذكر النحاس الاحمر الذي أعطته اياه (وندر) ليشكله. وتـذكـر كيف كان رقيقـاً تحت سكينـهُ الحادة. كان هذا شيئـاً مثيـراً وكـاد يبـدأ بالبكـاء. وفجأة توقف وغضب من كل شيء. وقال كيف يستطيع الانسان صهر النحـاس؟ ان قدر الطبـخ الطيني سيتحول الى تراب اذا وضع الانسان فيه نحاساً وعرضه للنار.

فنهض وهو يشعر بانه مخدوع وغاضب جداً. ثم ضرب الشجيرات حوله فانزلقت أفعى بنية صغيرة وهربت منه برعب، تاركه جلدها المجعد على التراب

وبينما كان يراقب الافعى، راود فكره الحلم ثانية مما جعله يبكي فانهالت دموعه كالجدول على صدره المكشوف. اجل، اولاً أخذ حجراً، لان الحجر يعمر الى الابد ولا ينتهي الى تراب ثم احفره بازميل حاد الرأس، وأحوله الى قدرٍ للطبخ. ثم أضع النحاس فيه. واشعل ناراً قوية وأضع القدر فوقها. وأدع النحاس ينصهر، ثم وثم..

لقد أصبح خارج الغابة، وعرف حينها انه سلك الطريق الخطأ وشعر بان كل شيء خطأ. حتى رائحة المكان خطأ أيضاً. تفوح من هذا المكان رائحة عفنة كان الناس يعيشون هنا منذ أزمان بعيدة. وليس كالمكان الذي قرب النهر حيث كل شيء يبدو نظيفاً وجديد ومغسولاً بالماء الصافي.

وبينما كان يتعثر في مشيته ويستنشق المكان ليتعرف عليه كاد ان يقع في حفرة صغيرة حيث كان هناك دخان

نار مشتعلة وحولها مجموعة من الرجال. وعندما استداروا وحدّقوا به أصبح اكثر خوفاً مما لو وقع في وكر للافاعي.

كانوا متشابهين جداً الى حد انهم يبدون كأنهم رجل واحد تكرر عدة مرات. ونظر (توي لايت) الى رؤوسهم المسطحة وعيونهم الرمادية الفاتحة والى انوفهم الكبيرة وأفواههم العريضة. كانت شفاههم قاتمة اللون وأسنانهم ظاهرة مصقولة فيما بينها ولونها كلون الحوت. واكثر ماكان يخيفه هو الشعر الاحمر الذي ينمو على أيديهم وصدورهم واكتافهم وقد سماهم مع نفسه الرجال الحمر. وتطلع الى بطونهم الكبيرة وأرجلهم القصيرة وأذرعهم المتينة. فهو لم يشاهد من قبل مثل هذه الاذرع او مثل هذه الايادي. فراحة اليد كانت طويلة واصابعهم قصيرة. والاظافر مثل سواد شفاههم. وحدّقوا به وهم يحكون باظافرهم خدودهم الشعثاء الحمراء أو يلعقونها بشفاههم.

واعتقد في البداية بأنهم سيتقدمون اليه ولكنهم لم يتحركوا والقى نظرة حول الحفرة فرأى بانهم لايملكون

رمـاحـاً أو أقـواسـاً . وهناك واحد منهم كان يحمل حجراً مسطحاً يرمي به ثم يلتقطه مرة ثانية ولكنه السلاح الوحيد الذي شاهده (توي لايت) .

فانحنى لهم وابتسم . فابـرز أحـدهـم أسنانه اكثر من ذي قبـل ، كمـا لو كان يزمجر. ولكنهم لم يهزوا رؤوسهم أو يتحركوا عندما تحرك هو وكانوا فقط يحدقون به بسكون .

وعلى بعـد خطـوات منـه كانت انفاسهم متساوية ثم حولـوا نظـرهم بعيـداً عنـه ، وكأنهم لم يهتموا به ، وقرّبوا اجسـادهم المـدورة باتجـاه النار ليحصلوا على أكبر قدر من الحرارة قبل أن تتحول الى رماد أبيض .

ثم فكر (توي لايت) بالعودة للغابة ولكنه فكر بأنه اذا فعـل ذلـك فانهم قد يلحقـون به ويأسـرونـه ..لذا فقـد تصرف بطريقة مغايرة فقد وضع يديه امامهم لكي يتأكدوا بانه لايحمل سلاح ثم نزل الى الحفرة .

كانت رائحة المكان نتنة وقوية جداً ، ولهذا كان عليه أن يحبس انفـاسـه بعض الـوقت . وتـدريجياً تعوّد عليها وكاد ان ينسـاها . وعندما وقف بالقرب منهم تحرك اكبرهم



ببـطء الى جانب ليخلي له مكـاناً يجلس فيه بالقرب من النـار. فتقـدم ببطء ، ثم اقترب أحدهم فمد يديه (اللتين كانتـا أقصر من البقيـة) ولمسه باصابعه القصيرة المكسوة بالشعـر. فسمـح له (تـوي لايت) أن يلمسه على الرغم من انه كاد أن يجفل من أظافره السود. كانت لمسة رقيقة كرقة الحشرة عندما تنزلق على ظهر الانسان

ثم أصـدر الرجل الاحمر الصغير صوتاً بصدره فتقدم الاخـرون ولمـســوا (توي لايت) وهم يتحسسـون بشرته

البنية الرقيقة ويتفحصون عضلات ذراعه برقة ويتلمسون شعره الاسود الطويل . لقد فعلوا كل هذا بخفة ورقة . ولم يصدق (توي لايت) بأنهم يمكن ان يكونوا رقيقين جداً . وفي كل مرة يفعلون هذا يدمدمون وأجسادهم تبدو تتحرك واحداً تجاه الاخر كما لو كانو من دون كلمات .

واخيراً استعاد (توي لايت) شجاعته وقال بقلق : أنا أبحث عن (بلاك بيرد) . هل شاهدتموها؟ انها جميلة جداً وعليها وشمٌ من الاوراق والازهار لايملكه غيرها .

فنظر الرجال الحمر الى الارض ثم لبعضهم ثم حكوا خدودهم المكسوة بالشعر وبدوا كأنهم لم يسمعوا شيئاً .

فقال (توي لايت) ببطء شديد : (أين قريتكم) .

وفجأة رمى الرجل الاحمر الذي يحمل الحجر المسطح الى الارض كانه لم يعد يعني له أي قيمة . فانحنى اكبر الرجال الحمر والتقط عصا ونبش بها رماد النار ونثره حول الحفرة .

ونهضوا فجأة وصعدوا المنحدر لأعتقد (توي لايت) بأنهم سيتركونه عند رمادهم الابيض . ولكن توقف

اكبرهم ونظر اليه من دون اي كلام أو حركة بيديه فعرف (توي لايت) بانهم كانوا ينتظرونه ليذهب معهم ولكنه لم يجروء ان يرفض .

وذهب اخيراً معهم ولكنه متخلفاً عنهم لانه لايستطيع أن يلحق بهم بسبب أرجلهم المتينة والقصيرة . كان أطول بمقدار رأسين من أطول واحد منهم ولكنهم اثقل منه بضعفين ويستطيع أي واحد منهم التقاطه كالتقاط اصابع الذرة وقذفه لمسافة عشر خطوات . وظن انه عرف لماذا لايحملون سلاحاً لان مثل هؤلاء الرجال لايحتاجون أن يدافعوا عن أنفسهم .

وبينما كانوا يقطعون الاراضي الخضر، نهض ذئب كبير من تحت احدى الشجيرات حيث كان نائماً واعاق طريقهم مزمجراً نافتاً شعره . ولكنهم استمروا فانزل الذئب ذيله بين رجليه واختفى بين الشجيرات المظلمة .

ومشوا في صف واحد يرأسهم كبيرهم وصغيرهم في المؤخرة . كان (توي لايت) يعرف ان محاولة الهرب منهم غير مجدية لانهم قادرون أن يمسكوه من دون عناء ويحطموه بضربة واحدة بأياديهم الطويلة القوية .

وعند الغروب وصلوا اخيرا الى منطقة صخرية حيث لاتنمو أية أشجار هناك.
فشاهد عدة كهوف وجعلت الشمس الغاربة لون الصخر احمر كالوانهم فعرف (توي لايت) ان هذه الكهوف هي بيوتهم وانها بعيدة عن انظار الاخرين.
ثم ساروا عبر عدة انفاق حتى توقفوا عند كهف كبير وعندها استطاع (توي لايت) أن يقف منتصباً. فاشعلوا ناراً قوية أحاطوها بالصخور وسط هذه الارض الصخرية وكانت توجد على الحائط اكوام من الاعشاب الجافة والسرخس البني.
وكان ينتظر في أقصى النفق حشد من افراد القبيلة الحمر الصغار بعضهم كان قليل الشعر وذا اسنان حادة. ثم تقدم احدهم الى (توي لايت) وضرب وجهه الناعم فاعتقد انه يبتسم له ايضاً. لذا فقد رد الضربة له محاولا عدم الهروب من هذا الوجه المليء بالشعر وفجأة عرف ان هذا الذي امامه هي احدى نسائهم الشابات والتي قربت وجهها له مرة ثانية ليضربها. ثم وقف الرجال الذين احضروه وهم يميسون باجسادهم الضخمة

ويدمدمون.
وشعر (توي لايت) بجوع شديد. فاستدار بادب وتقدم الى كبيرهم مشيراً الى فمه المفتوح. فحدق كبيرهم اليه بعينين رماديتين مدة ثم ادخل يده الى داخل فم (توي لايت) ليتحسسه وليتلمس أسنانه. فسمح (توي لايت) له بفعل ذلك ثم هز رأسه وحاول ان يبين لهم انه يمضغ لحماً قوياً. فالتفت كبيرهم فجأة وهمس لاحدى النساء الصغيرات فأتت مسرعة بوعاء من الجلد فيه جوز وتفاح بري. فابتسم (توي لايت) وهز رأسه واخذه ولكنه لم يكن أحسن طعام تناوله ولكنهم على الرغم من هذا فانهم رحبوا به. وعندما انتهى من تناول الطعام، تقدمت المرأة نحوه مرة ثانية وبيدها جبن ابيض. كانت تحاول عصره بينما تتقدم نحوه حتى خلصته من عصارته. ولم يكترث (توي لايت) لمثل هذا الطعام ولكنه على الرغم من هذا أخذه وتناوله. ثم دمدم الرجل مرة ثانية فأحضرت ماءاً بيديها المكورتين. فشرب منه أما المتبقي فقد سكبته على شعره ووجهه ثم زمجرت. وعلم فيما بعد ان تلك كانت ابتسامتهم ولم

يقصدوا بها وحشيتهم .

ثم جلس بالقرب من النار. فدمدم كبيرهم فجاء جميع أفراد القبيلة وجلسوا حول (توي لايت) فابتسم لهم وهز رأسه ليحييهم جميعهم ولكنهم لم يبتسموا له أو حتى يهزوا رؤوسهم بالمثل. ثم تكلم معهم بجميع اللغات التي يعرفها ولكنهم لم يجيبوه.

ثم ضجر بعضهم منه. فانصرفوا واخذوا يقطعون السرخس ويكسرون قطعه. كانوا يتململون في حركاتهم ويصدرون اصواتاً خفية كصوت كقبح الخنزير وينطون بقفزات صغيرة بأقدامهم المكسوة بالشعر.

وانحنى (توي لايت) والتقط غصيناً ساقطاً ورسم بمهارة على التراب الرمادي بالقرب من النار ذئباً يقفز.

وراقبوه بسكون، ثم بدأوا فجأة يرقصون ويضربون صدورهم. ثم تقدم كبيرهم وسحب (توي لايت) من اذنه وسحبه الى جانبه. ثم فجأة بدأوا يكشرون ويلمسون (توي لايت). وهجموا عليه كجيش من الفراشات. ثم جعله كبيرهم قريباً منه جداً حتى كاد (توي لايت) ان يختنق من الشعر الاحمر الكثيف.

ولكنه مازال يبتسم. ثم وضعت المرأة غصيناً آخر في يده وأشارت الى بقعة قريبة من احد أسرة السرخس. فتقدم (توي لايت) مبتعداً عن كبيرهم ورسم نسراً طائراً بخمسة خطوط.

ثم انتعش الكهف بالدمدمة والرقص. وتقدم كبيرهم الى (توي لايت) وقضم اذنه برفق بأسنانه الكبيرة كان يبدو سعيداً بالنسر. ثم رفه الشباب (توي لايت) على اكتافهم كانوا يحملونه بشرف وساروا به عبر الانفاق. وكانوا ينسون في بعض الاحيان السقوف الواطئة ولهذا كان رأسه وظهره يصطدمان بالصخور ولكنه على الرغم من هذا يضحك متجاهلاً مثل هذه الاشياء الصغيرة.

وفي النهاية وصلوا الى أعمق كهف وكان يسمع من وسطه صدى وقع الاقدام ودمدمة الصدور وأصوات الضحك. وعند ضوء القصب المشتعل شاهد (توي لايت) شيئاً لم يكن ليحلم به أبداً، شاهد كهفاً مغطى بأكمله باشكال ملونة. فوقفت قبيلة الرجال الحمر بسكون تراقبه. لقد شاهد جميع وحوش الارض من الثيران والذئاب والثعالب والكلاب والقطط الوحشية

وشاهد النسور والبوم والصقور والنوارس ومئات من الطيور الصغيرة التي لم يقع نظره عليها من قبل.

كانت مخططة باللون الاسود ومظللة بالاصفر والاحمر والاخضر والابيض. وكان يشاهد هنا وهناك اللون الازرق الذي يميز السماء ودوائر من اللون الذهبي المحمر التي تمثل قرص الشمس.

وقد استعملت كل قطعة وكل نتوء من الصخور حياناً لتمثل الظهر المنتفخ للثيران الوحشية. واحياناً تمثل تقوس صدر النسر.

وبين جميع هذه المخلوقات المرسومة على الجدران كان هناك رجال يركضون برماحهم وأقواسهم، كانت اشكالهم نحيفة وذات لون اسود، يصطادون المخلوقات ويجلبونها بمهارة وبراعة.

فهز (توي لايت) رأسه منذهلاً، وانسابت الدموع على خديه. ففكر (توي لايت) كيف يمكن ان يكون وسط مثل هؤلاء المبدعين (الرسامين)! ويعيش مع رجال لايحتاجون قتال الاخرين ولكنهم على الرغم من هذا فهم أقوياء لدرجة يمكنهم الانقضاض حتى على

ذئب شرس! مع رجال لايحتاجون حتى آن يتكلموا مع بعضهم.

ثم التفت الى كبيرهم ومد له يده فوضع كبيرهم عصا من الفحم فيها وبدأ يراقبه. فبسط (توي لايت) يده وتحسس صخرة ملساء فوجد نتوءاً طويلاً على سطحها، فرسم أيلاً وهو يركض بخطوط رفيعة، وقرونه بارزة، والتراب يتطاير من أسفل حوافره.

فمسك كبيرهم بشعر خده الاحمر وبدا يسحبه وهو يحرك ساقيه الى الاعلى والاسفل، وهكذا فعل بقية رجال القبيلة فضج الكهف بالصدى.

ثم تقدم نحو (توي لايت) ورفعه الى الاعلى كالطفل الصغير وألقاه في الهواء ليمرره الى من كان بقربه. وكان كل رجل يصفعهُ على مؤخرته أو يقضم اذنيه أو يجر شعره ولكن برفق دائماً وكأنهم اعتقدوا بانه قد ينكسر بأياديهم القوية.

ثم انزلوه وبدا كل رجل وامرأة بالتقاط عصا من الفحم ثم الرسم على الجدران، كان كل شيء في مكانه، أيل ثم أيل ثم أيل وهكذا. وكأن (توي لايت) قد

منحهم سحراً جديداً ليرسموا.

واخيراً غمر الجميع شعورٌ بالسعادة لانهم رجعوا الى نارهم في الكهف واستلقوا على اسَّرة السرخس. وكانوا يكشرون لبعضهم وينظرون الى (توي لايت) بعيونهم الذهبية البراقة.

ثم تقدمت المرأة التي قدمت الطعام (لتوي لايت) وجلست بجانبه ثم ضربت شعره الاسود بيدها المكسوة بالشعر. كان يوشك أن يضربها ولكن شيئاً ما منعه. فشاهدها تلبس في رقبتها السميكة سيراً جلدياً عُلّق فيه حجرٌ أسود مُشع. فتذكر بان كبيرهم يلبس واحداً مثله. لذا امتنع عن رد الضربة لها وحول وجهه جانباً فكشر الرجال وبعد برهة نهضت المرأة واختفت في الزاوية المظلمة من الكهف حيث توجد النساء والاطفال.

وفي الصباح الباكر، وقبل بزوغ الفجر، جاء الرجل الكبير اليه ووقف امامه متطلعاً الى عينيه برقة متناهية الى الحد الذي جعل (توي لايت) يعتقد بان الزعيم كان حزيناً، فتمنىٰ لو أنه يستطيع أن يتكلم لغة الرجال الحمر. وفجأة راودت عقله فكرة بأن الزعيم قد يريد ان

يقول، «ماذا تريد؟ ماذا نستطيع ان نقدم لك؟»

والتقط (توي لايت) عصا الفحم ورسم (بلاك بيرد) على التراب. كان خائفاً في البداية من عدم تمكنه من رسم الصورة على نحو جيد ليظهر مدىٰ.

اختلاف وجهها عن بقية الوجوه ولكن يديه استطاعتا ان ترسمها بصورة جيدة لدرجة اعتقد بان الرسم قد يتكلم. لقد اتقن رسمها حتى وشمها الجميل.

فحدق زعيمهم بالرسم مدة طويلة ثم بدأ يحرك كل اعضاء جسده ولكن عينيه كانتا تحملان شيئاً مختلفاً تماماً. كأنه لم يكن متأكداً. لذا رسم (توي لايت) صورتين أُخرتين الاولى (لوندر) والثانية (لـ ادير) وهو يحمل رمحهُ. وعندما انتهىٰ من الرسمين، هزَّ رأسه وحرك يديه المفتوحتين من جهة الى اخرىٰ. ليخبر الزعيم بأن هؤلاء ليسوا القبيلة التي يريدها لتمنحه السعادة.

فكشر الزعيم له وبدا كأنه فهم مايريده (توي لايت). ثم التفت وأشار وهو يضرب على صدره

للشباب. فتجمعوا وحدقوا بالصور المرسومة على الارض وبدأوا يحركون أجسامهم. ولكن أحدهم ذو عينين براقتين اكثر من البقية وشعر اصفر خفيف. وفجأة تقدم نحو (توي لايت) ولمسه من صدره ثم حرك رأسه جانباً وكانت عيناه مفتوحتين حائرتين كأنه يسأله اين يمكن أن توجد (بلاك بيرد). فانحنىٰ (توي لايت) مرة ثانية ورسم النهر، مع التلال التي تقع خلفه والاكواخ على طول ضفة النهر بين القصب. ثم رسم قوارب في النهر وفيها صيادون يصطادون السمك. والسفينة الطويلة حيث تتجمع القبيلة لتطعمها «وندر».

بدأ الرجال الحمر برقصاتهم وهم يضربون على صدورهم ويدندنون بانوفهم. وعندما انتهىٰ كل هذا أعطتهم بنت كبيرهم التي كانت تلبس حجراً اسود بندقاً وجذوراً بيضاً موضوعة على اوراق خضر من التبغ. وعندما انتهوا من طعامهم انحنوا وخرجوا من الكهف راكضين.

كان (توي لايت) يخشى من عدم رجوعهم مرة ثانية. فجلس خارج الكهف واخذ يراقب القمر وهو

يتحرك في السماء. كان المكان في الخارج أميناً جداً لان الذئاب لاتجرأ على الاقتراب من ذلك المكان.

وعندما أشرقت الشمس ثانية، اعتقد توي لايت بأن ماجرىٰ كله مجرد حلم. ولم يقترب الشيوخ والنساء منه لانهم بقوا مع أطفالهم في كهفٍ بعيد.

ولم يقترب منه سوىٰ ابنة كبيرهم حيث أعطته بندقاً وجذوراً بيضاً وجبناً ليأكله. ثم أعطته بعد ذلك بعض انواع اللحم. ولكنها كانت لاتكترث اذا اكله ام لا. ولم تعجبه رائحة اللحم. لذا فقد رماه في الاجمة. عندما ذهبت. وحاول ان يرجع الى الكهف حيث توجد المخلوقات الملونة. ولكن الشيوخ كانوا ينظرون اليه، ولهذا لم يجرؤ على المرور عبرهم لأن هذا المكان محرماً مالم يعطي كبيرهم السماح بالدخول اليه.

وعند حلول الظلام، رجع الرجال الحمر. كانوا يحملون (بلاك بيرد) على محفّة مصنوعة من الاغصان المتشابكة. كانت خائفة جداً حتى شاهدت (توي لايت). فركضت نحوه واحتضنته وابتسمت بوجهه. وبدأ الرجال الحمر بالرقص عندما شاهدوا هذا المنظر

وبدأوا يضربون على صدورهم حتى أثاروا غبار الكهف.

وعندما انتهى الرقص، تركت (بلاك بيرد) (توي لايت)، فجاء الرجل الاصفر اليهم والقى شيئاً قرب أقدامهم كما لو كان عرضاً. ولم يستطع (توي لايت) ان يميز في الظلام نوعية ذلك الشيء. ولكنه أخذ مشعلاً وقربه فرأى بان (وندر) و (ادير) قد فقدا معظم شعرهما

ابتسم (توي لايت) بوجه الرجل الاصفر وكأنه يعبر عن فرحه. ولكنه أخذهما والقاهما في حفرة عمقها (٤٠) خطوة أسفل الكهف.

وعندما شاهدت (بلاك بيرد) المنظر قالت: «اذا لم يقسوا عليك كما قسوا علي فعليك ان لاتحزن. انظر هناك علامات على جسمي لن تزول ابداً.

فقال (توي لايت): «هذه العلامات شيء صغير ولكن فقدان الشعر شيء كبير. كانت (وندر) تتباها بشعرها لأنه بلون الذرة في ضوء النهار.

فضحكت (بلاك بيرد) وقالت: «الشيء الاكبر بالنسبة لنا هو أن نكون معاً مرة ثانية. وأن نكون سعداء.

ولكني لاأعتقد أن بنت كبيرهم ستكون سعيدة. لانها تنظر اليّ وكأنها تتمنى أن تقطعني.

فاجابها (توي لايت): «ستحبك اذا أصبحت لطيفة معها. ولعل في يوم ما ستدعك تخرجين وتساعدك على ايجاد الطعام ايضاً».

فقالت (بلاك بيرد): «نعم، وسأعلمها كيف تغزل الصوف وتحوكه وسنكون كالاخوات معاً».

فقال (توي لايت): «سيكون من الافضل لو تعلمنا كيف نتكلم معهم. لقد حاولت ولكن كلماتهم تؤلم صدري عندما اقلدها: ولكني استطيع التفاهم معهم بوساطة اشكالي المرسومة فقط. نحن نختلف كلياً ولكن أشكالنا تجمعنا معاً كاخوة واخوات. كنت اعتقد باني الوحيد الذي يستطيع عمل اشياء ولكن كل رجل أحمر وحتى الصغار يستطيع أن يعمل اشكالاً أفضل من اشكالي. ولكني عندما أجد طريقة استطيع عمل أشكالي فيها من النحاس المنصهر بالنار. عند ذاك فانهم سيشاهدون شيئاً مختلفاً».

فقطبت (بلاك بيرد) انفها وقالت: «اشكالُ من

النحاس المنصهر؟ أعتقد انك تحلم مرة ثانية. انك أغرب رَجلٍ قابلته. ولهذا فانا احبك».

فقال (توي لايت): «انا احبك فقط لانكِ (بلاك بيرد). فانا لااحتاج شيئاً معيناً حتىٰ أحب الناس من أجله. أنا أحبهم فقط لشخصيتهم. فأنتِ اختي ويمكننا ان نتكلم ونمرح معاً عندما نتكلم بأشياء غريبة. انه لشيء عظيم أن نضحك، فمن غير الضحك تكون الحياة من غير معنىٰ».

وهكذا بقيا مع الرجال الحمر. واعطاهم كبيرهم كهفاً صغيراً لينفردا فيه عندما يشعران برغبة الكلام والمرح معاً. كان الرجل الاصفر يأخذ (توي لايت) في بعض الاحيان الى الكهف المجوف ويوضح له كيفية الرسم بالالوان على الجدران لجعل جميع المخلوقات البرية تبدو وكأنها حقيقية. وفي احدىٰ المرات غطىٰ الرجل الاصفر يد (توي لايت) بطين ملّون باللون الاحمر ثم ضغطها على الجدار لكي تترك شكلها الى الابد. ثم صبغ يده ببعض الصبغ وطبعها الى جانب مكان يد توي لايت لكي تتلازم كصديقين حميمين الى

الابد. في غضون ذلك حضر اكبرهم وعانقهما بيديه الكبيرتين مهنئاً اياهما. لقد كان قوياً لدرجة جعل (توي لايت) يشعر بأن نَفَسَه يخرج من جوفه وكان يتمنىٰ ان لايضغط اكثر خشية من تهشم عظامه.

في الوقت نفسه كانت (بلاك بيرد) تعلّم ابنة كبيرهم كيفية الغزل والنسيج. ويخرج الرجال الحمر يومياً للبحث عن بقايا الصوف في المروج. ثم يجلبونها مفتخرين وكأنهم قاموا بعمل عظيم. وصنعتِ (بلاك بيرد) لنفسها مغزلاً صغيراً لتنسج به خيوط الصوف. ولم يستطع هذا المغزل إلا عمل قطع أقمشة صوفية فضفاضة. ولكن (بلاك بيرد) خاطت هذه القطع معاً، وعملت منها تنوّرة لبنت كبيرهم. ويجلس الرجال الحمر ليشاهدوا القماش يكبر يوماً بعد يوم، كانوا فرحين كثيراً وهم يشاهدونه ويعبرون عن فرحتهم بالضرب على صدورهم ويهزون رؤوسهم الى الاعلىٰ والاسفل. وهذا أروع شيء شاهدوه في حياتهم. وسمحت ابنة كبيرهم (لبلاك بيرد) أن تلبسها التنورة. ثم خلعتها بعد ذلك ووضعتها على الرف لتكون بأمان. وحاولت جاهدة أن

تصنع قماشاً مثل (بلاك بيرد). ولكن أصابعها كانت قوية الى الحد الذي يقطع الصوف. ثم نفذ صبرها مما جعلها تكسر المغزل الى قطع صغيرة. وندمت على فعلتها هذه مما جعلها تخرج يومياً حتى في الجو البارد لتحضر طعاماً جيداً (لبلاك بيرد). وحاولت (بلاك بيرد) صنع عصيدة من البلوط الذي جففتهُ وحمصته ولكنهم دمدموا ثم رموا العصيدة.

وحدث مالم يكن متوقعاً. ففي أحد الايام لم ترجع بنت كبيرهم من الغابة عندما ذهبت لتجمع الجذور. وانتظر الرجال الحمر في الكهف حتى حلول الغسق ثم بدأوا يحملقون فيما بينهم وهم يهزون رؤوسهم الى الاعلىٰ والاسفل ويحركون اصابعهم باستمرار وهم يقطعون السرخس. وكان شعرهم الاحمر على ظهورهم يبدو منتصباً في بعض الاحيان. ويصدرون أصواتاً واطئة عند الضرب على بطونهم.

كان كبيرهم يذهب الى مدخل الكهف بين الحين والحين وينظر الى الغابة وهو يدمدم مع نفسه وكان الرجل الاصفر يلحق به ويعمل الشيء نفسه، كانت اعينهما

الصفر واسعة ومشعة وكانا ينتقيان الشعر الذي على وجهيهما.

واخيراً لم يستطيعا الانتظار اكثر فركض الاثنان باتجاه الاشجار وفتشا بعيداً حتى ارتفاع القمر فوق الكهف وعندما رجعا. كان كبيرهم يحمل ابنته وهي مصابة باربعة سهام في صدرها. اثنان منها كانا مكسورين كما لو كانت قد حاولت اقتلاعهما من صدرها

فنظر (توي لايت) الى السهام وقال (لبلاك بيرد): «لقد شاهدت سهاماً مثل هذه من قبل وأنت كذلك».

فهزت (بلاك بيرد) رأسها وقالت «انها من صنع قبيلة (الرمز) وهذا السهم الذي يعلوه الريش الاسود يعود (لـ ادين) وهو الذي ضربه».

كان كبيرهم يراقبهما وهما يتكلمان معاً، وعيناه مفتوحتين وكذلك انفه وكأنه يحاول ان يفهم كلماتهما.

فالتفت (توي لايت) نحوه وحاول تقليد حركة رمي القوس ثم أخذ خصلة من شعره. فبدا كبيرهم وكأنه فهم بأن (وندر) (وإدين) هما اللذان ضربا ابنته.

وفي تلك الليلة. سمع (توي لايت) خطىٰ الرجال

الحمر وهم يتأهبون للخروج الى الغابة وشاهد ظلالهم تمر أمام فتحة الكهف الصغير الذي يعيش فيه وعرف بانهم قد أخذوا سلاحهم معهم هذه المرة.

فقال (توي لايت): «كل هذا بسببي. لوكنت قد بقيت مع قبيلة (الرمز) لما حدث لبنت كبيرهم ماحدث. لقد تعقبوني الى هنا، وهم ينتقمون بعملهم هذا».

فأجابته (بلاك بيرد): «انك لم تفعل ياأخي. من المؤكد انها (وندر). فهي امرأة سيئة وتريد كل شيء لها وحدها. لقد اخبرت (إدين) انها ستفعل هذا. في حين انك لم تفعل مافعلت فلا تحزن».

لكن (توي لايت) هز رأسه الاسود وقال: «انها بسبب ماصنعته. وهذه كانت بداية كل الاشياء السيئة في حياتي. لو لم أرسم ذلك الذئب في ذلك البيت الكبير لربما كانت امي على قيد الحياة. ولربما كان (بود) الصغير على قيد الحياة ايضاً».

وايقنت (بلاك بيرد) بأنه من العبث الاستمرار معه في النقاش في هذه الساعة. لانه غارق في ذكرياته وفي كل الاشياء التي حدثت.

عاد الرجال الحمر في الصباح الى الكهوف. كان بعضهم مصاباً بالسهام وكبيرهم مجروحاً بفأس ولكنهم كانوا يبدون سعداء بما فعلوه. ثم تقدم الرجل الاصفر باتجاه (توي لايت) ورسم القرية بالقرب من النهر ثم سحب يده عليها كأشارة لاكتساحها.

ثم دعا رجلاً احمر كان يحمل شيئاً ما يتحرك داخل كيس صوفي. وقدمه (لـ بلاك بيرد) التي خافت من فتحه في بداية الامر. ولكنه بدأ يتحرك في يديها فسحبت الكيس وقالت:

«انظر انه طفل».

فنظر (توي لايت) اليه برهة ثم قال: «انظري انه يرتدي القلادة النحاسية التي صنعتها لتلبسها حول رقبتها. من المؤكد انه طفل (وندر) ولكنه كيف سيعيش من غير ام تعتني به».

فقالت (بلاك بيرد): «نحن لانعادي طفلاً صغيراً ياأخي. اذ أن هذا الطفل الصغير لم يؤذ أحداً أويقتل أي شخص. تستطيع ان ترعاه وعندما يكبر يمكنك ان تعلمه كيفية رسم الاشياء وعملها».

لقد حدث هذا في جوردي‌ء من السنة. حيث يبقى الثلج مدة طويلة جداً وحيث تظهر أعداد كبيرة من الايل في الغابات لتقضم الاعشاب السود المتفسخة.

كانــوا ينادون الطفلة (بـ لاينيت) لأن شعرهـا كان متمـوجـاً بالـوانـه. وتذكر (توي لايت) بأنه قد شاهد في احدى المـرات طائـر الاطبش وهو ذوريش بسبعة الوان مختلفــة. كانت في البـدايـة ذات طبـائـع سيئـة ليست كجمـالهـا. وعنـدمـا تغضب تصـرخ حتى يحمر وجههـا ويصبـح كلون احجـار الـرمـل. وكـانت تضـرب برجلها ويديها حتى تمزق السلة التي صنعها (توي لايت)

ثم قال: «انـا استطيـع مواجهـة اشيـاء كثيـرة. فأنت تعــرفين كيف واجهت (شـارك) وفأسـه المخيفـة. لكن مالااستطيـع تحمله هو صراخ (لاينيت) فقد شوشت كل افكاري، عليها أن تفعل شيئاً غير الصراخ وتمزيق سلتها فهذا يضطرب الفنان».

ابتسـمت (بـلاك بيـرد) وقـالت: «انتم الرجال اغبياء جداً. هذا لن يدوم مدة طويلة وسينتهي وعنـدهـا ترتدي

(لاينيت) تنـورة وقـلادة من الحجـر الازرق. وسيتحشد جميع الشبان الاقوياء متسابقين رافعين فؤوسهم لطلب يدها.

فذهب (تـوي لايـت) وهـو يفكـر بهـذا الموضوع في ركنـه الخـاص بالرسم ثم قال اخيراً: «عندما يكون لدي كلب فانـا على يقين بأنـه ملكي وحـدي وانه يقترب مني عنـدمـا انـاديـه. ولهـذا فانـه لي ولن يأتي شاب ذولحية سوداء ليطلبه. وهكذا هي لاينيت. فهي ملكي ولن يأتي أحد ليأخذها مني».

فاجــابتـه (بـلاك بيـرد) بهـدوء: «نحن لانتكلم عن الكــلاب، بل عن البشــر الــذين ينمــون الى الاعلى كالاشجـار، والـذي يستطيع رسم الصور على التراب أو الارض. ولكن الكــلاب لاتستطيـع فعـل ذلـك، انهـا لاتستطيـع استعمـال السـلاح، ولهـذا فهي ليست مثـل البشر في شيء».

وتطلع (توي لايـت) الى النار مدة طويلة ثم قال: «انا اعـرف ان الكـلاب لاتستطيع استعمال السلاح. المرأة الـوحيـدة التي تقول مثل هذه الاشياء السخيفة. ولكنك

تعرفين ان الكلاب تستطيع أن تعض. وهي تملك انياباً في حين البشر لايملكون أنياباً. ولهذا فهي لاتحتاج الى السلاح. هل فهمتني أيتها الاخت الحمقاء».

وكـان على (بـلاك بيـرد) أن تستسلم في النهـايـة. فالكلاب حتماً لها انياب ولا يملك البشر مثلها. ويبدو ان هذا المـوضـوع لايستحق المنـاقشـة. وهي لاتجيـد فن المناقشة بصدد هذه المواضيع الجدية كما يفعل البشر. فضـلاً عن أن (لايـنيـت) كانت جميلة جداً الى الحـد الـذي جعلهـا لاتستطيـع مفـارقـة وجههـا الجميـل مدة اطول. وهذا أفضل من هذه المناقشة السخيفة.

كان كبيـرهم وكـل رجـال القبيلة معجبين بجمـال (لاينيت) ـ وكـانـوا يجلسـون عنـد مدخـل كهف (تـوي لايت) ليتطلعـوا اليهـا. وعندما كانت (بلاك بيرد) تسمح لهم بحملهـا كانـوا يحملونهـا وكأنهـا بيضـة طيـر رقيقـة يخـافـون أن تتكسـر بيـدهم. فضحكت (بـلاك بيـرد) وقـالت: «انهـا قوية كالذئب الصغير. انظروا، يمكنكم أن تلهو معها وترموها في الهواء».

ولكن كبيرهم لم يسمح لهم بفعل هذا، بل انه كان

يكشـر عنـدمـا تفعـل (بـلاك بيـرد) هذا. وعنـدما بدأت (لايـنـيت) تزحف داخـل الكهف فرح كبيـرهم فرحـاً عميقـاً. كان يعلمهـا رسم الصـور ويسمح لها ان تصعد على ظهره.

وتعلمت (لاينيت) لغـة قبيلة الـرجـال الحمر قبل أن تتعلم لغتهـا. لقـد أغضب (توي لايت) كغضبه من لغة النسـاء عنـدمـا كان صبياً ثم قال: «سينمو الشعر الاحمر على جسدها بعد ذلك».

ولكنه بعد هذا كف عن عبوسه، عندما أخذت (لاينيت) عصـا وأخـذت ترسم على الارض في ركنـه المظلم. ورسمت مخلوقـات لم تكن قد شاهـدتهـا قط. ولكنهـا رسمتها برقة وبخطوط قليلة جداً. ولهذا فقد احبها (توي لايت) اكثر واعتز بها اكثر مما اعتز بيدها اليمنى. وقال: «لن يستطيـع أن يأخـذكِ أي رجل ذي لحية سوداء حاملاً فأسـاً (يالاينيت). فلا يستحقك الا اعظم رسام في هذا الكهف ياجميلتي».

ثم جاءت (بـلاك بيـرد) ومسحت الصـور بقـدمهـا وقـالت: «هيـا يا(لاينيت) لقد حان الوقت لتتعلمي كيف

تصنعين خيـوط الصـوف بين انـاملكِ، فهـذا هوعمـل المـرأة وليس هذه الاحـلام المـرسـومة. ولهذا عليك ان تتعلمي الحياكة».

ومـرت ثلاث سنـوات، كانـت سنـين قحـط. لم يستطيـع (تـوي لايت) في غضـونهـا زرع حقله المـربع الشكل الصغير. ولم تستطع (بلاك بيرد) ان تجد البندق أو التـوت أوحتى بيض الطيـورفي الغـابـة. كان شيـوخ القبيلة يمـوتـون أويذهبـون الى الغـابة ولايرجعون. ولم يولـد أي صغيـر في الكهف الكبيـر. وسـاد جو هادئ وكئيب جداً وخيم الظلام عليه داخل الكهف. وأصبحت (لاينيت) نحيفـة جداً وتأخر نموها مما جعل (بلاك بيرد) تبكي لحالها وبدأ (توي لايت) يرسم كل المخلوقـات التي‌تملك اللحم حتى الارانب وهي مصوبة، ولكن حلمه كان سراباً دائماً.

وحدث أسوأ مما توقع حدوثه. فقد حضر كبيرهم الى كهف (توي لايت) وتطلع الى (لاينيت). وانحنى عليها وتحسس يديها اللتين نحفتا كثيراً. كان الحزن بادياً في عينيه.



كان يحـاول آن يقـول شيئـاً ما (لتـوي لايت) ولكنـه عجـز عن التعبيـر عنه. وأخيراً أخذ سلاحه الثقيل واتجه نحوالغابة وحده. كان الثلج قد غطى الغابة وهنا مايجعل الـذئـاب قويـة. وهكـذا كانت سبعـة ذئـاب تترصد له، لتنقض عليه. كانت تحاصره من جميع الجهات، وبعد صراع مرير معها استطاع أن يقتل أربعة منها، ولكن قواه

قد خارت مما شجع البقية من الذئاب أن تهجم عليه وتفتك به وتقضي عليه عند حلول الظلام.

بعد هذا أصبح الرجل الاصفر زعيماً للقبيلة. وفي أحد الايام زار (توي لايت) في كهفه ووقف ثم قدم يديه (للاينيت) تعبيراً عن طلب يدها. ولكن (بلاك بيرد) هزّت رأسها لتعبر عن رفضها. فرجع الرجل الاصفر حزيناً. وفي الصباح التالي، ساد سكون في الكهف الكبير لقبيلة الحمر. فخرج (توي لايت) ليستطلع الامر. فوجد أن القبيلة باكملها قد رحلت. ولم يخلفوا وراءهم أي أثر. فقد مسحوا الصور الملونة من على الجدران ونثروا الرماد والسرخس فوق الارض. وكسروا السهام وفضضوا العظام. وبدا الكهف كأنه كومة من زبالة.

وحاول (توي لايت) تتبع آثارهم بعض الوقت في أغوارُ الغابة. حتى وصل الى مكانٍ حيث اكتسىٰ الثلج بلون احمر وطبعت آثار أقدامهم عليه، كانت آثارهم في جميع الاتجاهات. وطرحت الذئاب الميتة هنا وهناك. كان أحد الذئاب مشنوقاً ومعلقاً من اذنيه بأحد اغصان

شجرة البلوط. ووجد (توي لايت) خصلة من شعر أحمر بين سنابل الزعرور البري والوزال. ثم وجد سهماً ملوناً مكسوراً.

وخشي أن يغور في أعماق الغابة اكثر من هذا فالتفت وعاد ادراجه بأسرع مايمكن الى كهفه الصغير.

وعندما قص على (بلاك بيرد) ماشاهده أجابته قائلة: «اعتقد ان قبيلة الحمر قد انتهت، وقد شاهدت آخر شخص منهم. فهم يعتبرون اولى القبائل، اما الان فقد رحلوا الى حيث السكون الابدي. لقد ماتوا. ولن يكون هناك المزيد من الرسوم في الكهوف. نحن القبيلة الوحيدة التي استطاعت رؤيتهم. والان انمحت آثارهم ولن يعرف أحد عنهم شيئاً».

ولم يحمل توي لايت نفسه مشقة التفكير بهذا الموضوع. وقال: «ستخلد هذه الرسوم الى الابد. لماذا يولد الانسان ليضع احلامه على الجدار اذا كان من الممكن محوها، وعندها لن يشاهدها احد ثانية؟»

اذا صنعت بعض الملابس فستعني بها ولاتتلفها ابداً. وهكذا الصور، لقد انغرز حبها في قلبي ولن

استطيع أن انساها بسبب قبيلة كقبيلة (وندر) و(إدين) أو بسبب مخلوقات متوحشة كذئاب الغابة. لماذا كل هذا؟ اخبريني يا(بلاك بيرد)، لماذا كل هذا؟».

فاجابته (بلاك بيرد): «لااستطيع أن أخبرك، ياأخي. انا لست خيالية مثلك اومثل قبيلة الحمر. انا امرأة. وكل ماأستطيع اخبارك به هو ان الذئاب تقترب اكثر فاكثر نحو كهفنا الان. لأن الشعب الاحمر قد رحل. ونحن لانستطيع مقاتلة الذئاب، ثم يجب أن تفكر (بلاينيت)».

فقال (توي لايت) متسائلاً: «ماذا ينبغي ان نفعل، لننقذ (لاينيت) الصغيرة».

فقالت: «انها نحيفة ولها بشرة بيضاء. ثم انها لم تبتسم ولم تتكلم منذ عدة أيام. حتى انها لم تفتح عينيها منذ مدة. اذا لم نتوصل الى حل فانها ستذهب في سبات عميق ولن تعود أبداً».

فنهض (توي لايت) وذهب الى احدى الزوايا المظلمة حيث تراوده احلامه دائماً. وبعد برهة رجع الى (بلاك بيرد) وقال: «كفى احلاماً، وكفى رسوماً.

هنالك شيء أقوى من الاحلام والرسوم، فانا لااملك غير عبقها».

فقالت (بلاك بيرد): «ماهو ياأخي، أي عبق هذا».

فأجاب: «لااستطيع أن أصفه لكِ يا(بلاك بيرد)، انه ليس شيئاً ملموساً انه شيء في عقلي ومجرد من الشكل. انه طاقة، ولكنه ليس شيئاً نلمسه باليد او الاطراف أو الجسم. نحن لانستطيع مسك عصا السهام أو الفأس. ولكنه على الرغم من هذا فهو فوق كل هذه الاشياء. انه روح القوة وهي اكثر من أن تؤذي شخصاً ما. انه شيء قوي اذا تنشّقه الذئب ولى أدباره هارباً».

فقالت (بلاك بيرد) بأدب: «هل أنت متأكد من هذا، ياأخي؟»

فهز (توي لايت) رأسه وقال: «نعم، نعم» ثم أضاف قائلاً: «لااستطيع أن أحس به الان. انه في عقلي. انه يجعلني لااخشى الذئاب أوأي شيء آخر. وستحمي (لاينيت). أنا متأكد من هذا».

فقالت (بلاك بيرد) بهدوء: «حسناً، مادام هذا الشيء في داخلك، دعنا نرحل بعيداً من هنا. علنا نجد

مكانا اخر حيث توجد قبيلة نستطيع التفاهم معها. قبيلة لديها حليب وماشية وخبز ولحم لصغيرتنا».

ودثراها بصرة من جلود الاغنام وبشال صوفي. ثم قاما برحلتهما بعيداً عن الغابة الى حيث الارض الخاوية والتي تقع وراء أقرب اخدود من التلال. وبعد مدة من بدء رحلتهم كانت مجموعة من الذئاب البنية قد ظهرت من وراء القرم الصغيرة لشجرة الزعرور البنية وهي تتشمم. واطلقت (بلاك بيرد) صيحة ولكن (توي لايت) التفتت اليها بوجه عبوس مما جعلها تبتسم له.

فقال لها: «امسكي لاينيت بقوة، وساخاطب هذه المخلوقات البريئة ذات الاقدام الاربعة».

ولكنه لم يمتلك فرصة الكلام معها. فأتجه باتجاه قائد المجموعة الذي انتصب ليقفز عليه. ولكنه وقف ولم يتفوه بكلمة واحدة.

وفجأة بدأ الذئب يحملق فيه، ثم توسعت عيناه وتكهربت، وتدلى لسانه الاحمر الى الخارج بين أنيابه البيض.

ثم ثبت قدمه وأرخى ذيله على الثلج. ونظر الى

(توي لايت) وكأنه ينتظر امراً منه. ولكن (توي لايت) لم يتفوّه بكلمه واحدة، وكل مافعله هو بدأ يدندن اغنية الدوار التي الفها.

منذ مدة طويلة، عندما رجع من صنع البومين الطينيين. وسمع ملك الذئاب هذا. فعبس مستغرباً وبدا هذا في عينيه الصفراوين المسطحتين.

وكان شعره في الاغلب ينسدل على حاجبيه وهو يكشر تكشيره مربكه. وعندما استمر (توي لايت) باغنيته، أدار الذئب رأسه ببطء حتى لاينظر الى (توي لايت). ثم انسل عائداً الى المجموعة.

جاءت (بلاك بيرد) تركض وهي تضحك. ثم قالت: «انظر، لقد ارتدّت الذئاب الى الوراء أجمتها. انها لاتستطيع مواجهتك. ياأخي، ماذا قلت لهذا الملك؟»

ونظرت اليه. كانت قطرات العرق تبلل شفتيه وخديه. ثم قال: «ماذا قلت لهم؟» ثم أضاف: «انه لرجل ضعيف من يكره مناقشة مثل هذه المخلوقات الكريهه. وبالتأكيد ستكون ضياعاً للوقت. خاصة لرجل قوي يستطيع رسم الصور. ولكنه ينبغي أن يتعامل مع

مثل هذه المخلوقات ذات الاقدام الاربعة كالذئاب . لقد كان عبق الصورة في داخلي ولهذا تقدمت كخصم لها ، لقد راودني عبق الاشياء الاخرى أيضاً ، فلأول وهلة حلمت بتشكيل البوم من النحاس الاحمر» .

ثم قالت (بلاك بيرد) مبتسمة : «اذا استمررت بقص هذه الاوهام ، فساكون أنا خصمك أيضاً ، ياأخي . ولكن هذا الخصام بعيد عن الخوف والرمح» .

فاستدار (توي لايت) نحوها وقال : «سوف لأحمل رمحي بعد الان . فالرماح لم تنقذ الرجال الحمر . فهم أقوياء . اذا كانت لديهم الشجاعة لتحقيق مايحلمون به . حتى النصر على الذئاب عندما نحدق في اعينهم» .

فقالت (بلاك بيرد) : «اش ، اش . لم تنل غير التفاخر بنفسك وصوتك العالي ، لقد أيقظت (لاينيت) من نومها تحت جلود الاغنام بصراخك» .

فضحك (توي لايت) وقال : «دعيها تستيقظ . اذا أرادت هذا . دعيها ترى انني لااستطيع تحريك ساقي الان ، وقد أتعلم أن امشي بثبات كما يفعل أي رجل» .

قالت (بلاك بيرد) : «ولكنها اذا استيقظت فلن تسترعي ساقك السخيفة انتباهها . ولكنها ستكون منشغلة لشعورها بالجوع . وستبكي لانها لم تتناول الطعام منذ عدة أيام . هذا هو ماستفعله (لاينيت)» .

وعندها توسعت خطى (توي لايت) ثم قال : «منذ هذه اللحظة ، سوف لن اذهب الى الزاوية المظلمة وانتف شعري لان طفلتي تبكي وتشوش أفكاري . ومن الان ستكون طفلتي جزءاً من أحلامي . وكل احلامي ستكون لها . وهكذا فهي تستطيع أن تبكي . ولكنها لن تبكي بعد هذا ، لان الطعام سيكون متوفراً لها والحليب كافياً لاعادة ابتسامتها» .

كان يتبعها وبينهما بعض الخطوات ، كانت تحمل طفلتها النائمة برقة حتى لاتجعلها تبكي . ثم قالت وهي توطيء رأسها الى الاسفل : «الاحلام ، الاحلام ، الاحلام ! الرجال ، الرجال ، الرجال ! لقد سمعت كل هذا قبلاً . سواء ، كانوا يحملون سهاماً او رماحاً .

وقال (توي لايت) بهدوء : «أنت سجينة افكارك التي شاهدتيها لاول مرة . ولاتستطيعين رؤية مايكمن خلفكِ ، ياأختي . تجردي من عقلكِ وانظري اكثر عبر الثلوج»

وهكـذا نظـرت (بـلاك بيـرد) فشـاهدت قرية صغيرة أمـامهـا. تكمن بين التـلال الهـادئـة. كان يتطاير دخان ازرق من الاكواخ.

وقـالت مندهشة: «انظر ياخي. لايوجد سياج حول هذا المكان».

فقـال (تـوي لايت): «سياج؟ بسياج؟ معظم الرجال يصنعـون الاسيجة حولهم؟ هل هم يولدون وهم يعرفون كيف يصنعونه؟ هل يوجد سياج حول (لاينيت) الصغيرة الان؟ سأخبـرك، قبـل ان اشـاهدهم، هذه القبيلة التي تقطن هنـا لديهـا شيء أفضـل من الاسيجة، أو الرماح، تجعلهم آمنين. تعالي، يا(بلاك بيرد)، استطيع ان ارى هذا لقـد جاءوا ليقـابلونـا، ـ ثم ضحـك، واكمل قائلاً: «لقد جاءوا فعلاً، سيتعجبون من ملابس الكهف الغريبة!»

وتقـدم فمـد يده ليصـافحهم وهـو يضحـك. وتبعته (بـلاك بيـرد) وهي تضحك أيضاً. واستيقظت (لاينيت) وحاولت جاهدة أن تضحك أيضاً.

وهكذا كانت النهاية مشرقة على الرغم من البداية المظلمة.

ملحق بقلم روزماري ستكلف

تحتـاج الانـواع المختلفـة من القصص ان تروى بكلمات متعددة تنساب معاً بطرق متنوعة.

وهكذا فهم (هنري تريس) هذه الطريقة اكثر من اي كاتب اخـر عرفتـه. كان يملك موهبـة خاصـة في ايجـاد الكلمات المناسبة وتشكيلها والتي يتطلبها كل كتاب من كتبـه، ولهـذا السبب وبـدل ان تبسـط القصـة، مزجت بفحـواهـا وبهـذا تصبـح جزء مكمـل لمحتـواهـا ولونها وشكلها وحتى تاثيرها.

وهـذا نوع من السحـر، ولكنـه بالـرغم من هذا فهـو سحـر بحـد ذاتـه. واذا كان يتضمن هذا بين طيـاته فمن الصعب ان يظهـر بوضوح ولهـذا قد لايـلاحـظ قاريء «وقت الاحـلام» عنـد قراءتهـا من بدايتهـا وحتى نهايتها ذلك السحر مهما حاول، وهنا تكمن الشفقة.

ويـرجـع زمن «وقت الاحـلام» الى البـدايات الاولى للبشـريـة، حيث لاتملك معلومـات اكيـدة عن الجنس البشـري، ويخيم الغموض على هذه العصور، ولاشيء

مؤكـد حول هذه الحيـاة. وكل سنة يزيد الغموض اكثر. والعصـور التي تلت البدايات الاولى للبشرية كان الناس يستعملون كلمـات قليلة ومعبـرة فيما بينهم لتكون حلقة وصل لافكارهم ومشاعرهم ومقترحاتهم.

وعلمنـا من طقـوسهم الـدينيـة وطريقة معيشتهم من الاثـار التي تركـوهـا، ومن سـكان العصر الحجري الذي يعيش بعضـهم لحـد الان مثـل بوشمين اوف كلاهـاريـا [§ushmen of Kalahari] والــذيـن تميـزوا بانــواع مختلفـة من الافكـار الملتبسـة والخوف والرغبة الشديدة التي تكمن في عقـولهم وقلوبهم. وهكـذا الف (هنـري تريس) قصتـه بابسـط الكلمـات واقصـرها، وضعت مع بعضها بطريقة لتعبر عن اشياء معقدة جداً.

وقبــل ان تقــرأ «وقت الاحـلام» ستعـرف ماذا يبغي (هنـري تريس) بالضبـط. اضـافة الى ذلك، فقد اختار شخصية (كروكليج) والذي اصبح فيما بعد (توي لايت) ومن بين افكـاره: (تمنى لويتكلم جميـع البشـر (رجـالاً ونسـاءاً) والخيول والبومات والكلاب لغة واحدة، عندها سيصبـح كل شيء سهـل عند التخاطب والفهم. وربما

لن يتقاتل احد بعد هذا.

و«وقت الاحـلام» قصة تتغير احداثها باستمرار والتي ترافق بطلهـا طوال القصـة، بكـل مميـزاتهـا واشخاصها وامـاكنهـا القـريبـة. ولكنهـا بالـرغم من هذا فهي ذريعة لابطــالهــا ليتعـرفـوا على بعضهم البعض. وليهتموا ببعضهم البعض، وهي ذريعــة للسـلام بدل الحـرب، والابداع بدل الهدم.

واعتقد ان هذا الكتاب قد تضمن كل هذا، وهو اخر كتـاب للكـاتب (هنـري تريس). وهـذا لايعني انه الف روايـة تاريخيـة مثل سابقتها، ولكنه اراد شيئاً مختلفاً عن كتبـه السـابقـة. وبطـريقـة ما، كانت اعمق بكثير، فقد صورهـا كحلم، وهكـذا جمـع بين الاحـلام والـزمن والمكـان معـاً. وقـد جمـع بتأن بين الفتـرات المختلفة والناس المختلفين القريبين لبعضهم البعض اكثر من الحقيقة.

وقصـة الفتى الـذي يصنع الاشياء الجميلة بدل قتل النـاس، كان ينتمي الى العصر الحجري المتأخر. وهم انـاس ينتمون الى الاقزام الملونين والذين يملكون السر

لنمو الشعير.

وهنالك رأي حول (شعب الرمز) والذين يرجعون للعصر البرونزي، والذين ظهروا بعد شعب الاقزام الملونة. واعتقد ان في هذا كله، حاول ان يوضح كيف تغير الكثير من الناس وبطريقة ظاهرية في تصرفاتهم وتفكيرهم، ولكن هنالك اشياء معينة لم تتغير وهذه كانت جيدة بحد ذاتها، ولكن البعض الاخر كانت سيئة وحزينة. وفي كل العصور وحتى يومنا هذا، هنالك اناس يصنعون اشياء اجمل من اي شيء اخر في هذا العالم. والذين يعيشون ليموتوا من اجل احلامهم، اوحتى من اجل حلم معين والذي يبدو غير واقعي للاخرين. وفي كل العصور وحتى عصرنا هذا، وبعد اربعة الآف سنة، وهكذا لنتعلم الكثير من الاحاسيس ولكنهم رغم هذا يبقون يتقاتلون لانهم لم يفهموا بعضهم البعض.

واحد الأشياء التي تدعو الى الاسف في هذه الحياة، ان كل كاتب يعرف انه في يوم ما سيكتب اخر كتاب له، ولكل ميزته، فالبعض ينتهي من اخر كتاب له والذي قد يبدو ككتبه السابقة، وربما لن يكون بمستوى

جيد كالكتب الاخرى. ولكن هنري تريس كان محظوظا في هذا المجال، فقد الف كتاب مميز جداً، اضافة الى انه اخر رواية له.



شركة سومر للطباعة المحدودة هاتف: ٧١٩٩٧٤٣

السعر (٦٥٠) فلساً

رقم الإيداع في دار الكتب و الوثائق (١٢١٣) لسنة ١٩٩٠

شركة سومر للطباعة المحدودة هاتف: ٧١٩٩٧٤٣